بسم الله الرحمن الرحيم

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

ثقافة التقريب

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

العدد ٦٥ ـ ذو القعدة ١٤٣٣هجرية قمرية

مهر ١٣٩١هجرية شمسية /اكتوبر (تشرين الأول) ٢٠١٢

- الآراء الواردة لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجمع العالمي للتقريب
- تسلسل الموضوعات خاضع لاعتبارات فنية

المراسلات:

العنوان البريدي للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية:

الجمهورية الإسلامية في إيران –طهران –ص. ب: ٦٩٩٥– ١٥٨٧٥

العنوان الالكتروني: info@taghrib.ir

الطباعة: حسين المندلاوي / على حروف (**قلم برتر**) خاص بالنشر المحترف

النسخة رقم (٢) من www.MaryamSoft.com

ثقافة التقريب

ملحق

رسالة التقريب

مجلة تثقيفية عامة تهتمّ بعرض الأفكار التي ترتبط بوحدة الأمة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، مع التأكيد على ضرورة وضع المسلمين أمام مسؤولياتهم الكبرى في استعادة العزّة والكرامة واستئناف البناء الحضاري

الإشراف العام

الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

هيئة التحرير

مجموعة من الكتّاب الرساليين المهتمين بمستقبل
الأمة الإسلامية وبوحدة الدائرة الحضارية للعالم الإسلامي

إعداد المجلة :

مركز الدراسات الثقافية الإيرانية العربية
www.IranArab.com

منهجنا في نشر المقالات

١ـ أن يكون المقال ما قلّ في الصفحات ودلّ على فكرة مفيدة في حقل التقريب وصحوة الأمة ووحدتها.

٢ـ للمجلة الحقّ في التلخيص وتعديل العبارات، دون أي مساس في المحتوى، كي يكون المقال منسجمًا مع الإطار العام للمجلة.

٣ـ يحقّ للكاتب أن يطلب عدم ذكر اسمه، وهيئة التحرير سوف تنشر مقالاتها دون ذكر كاتبيها تجنبًا لتكرار الأسماء.

٤ . ننشر أيضًا مختارات وعصارات مما كُتب في تراث التقريب.

٥ . المقالات والتعليقات التي تعارض هدف المجلّة سوف ننشرها أيضًا إذا كانت ملتزمة بأدب الاختلاف، مع الاحتفاظ بحقّنا في التعليق.

المحتوى

العدد ٦٥

الإمام الخامنئي يدين الإساءة للرسول(ص) ٤
تصاعد الاعتراضات في إيران تجاه الفيلم المسيء للرسول(ص) ...٦
بيان المجمع العالمي للتقريب حول الفيلم المسيء ٧
السيد حسن نصرالله يدين الأيدي الآثمة ١١
السيرة النبوية في الإطارالحضاري ١٦
السيرة النبوية والرق ٢٥
الهجرة النبوية والحكم الأجنبي ٣١
نظرة أخرى في السيرة ٤٢
الموقف من البدعة بين السلب والإيجاب ٤٧
فهم السلفية بين السلب والإيجاب ٥٥
المجتمع الإسلامي المعاصربين العزة والذلة ٥٩
الفتوى التاريخية ٦٢
دورسيرة النبي في إيجاد الأمة الإسلامية الواحدة ٦٥
المنهج النبوي في بناء الوحدة ٨١
المنهج النبوي في معالجة الفتن ٩٣
رسول الإسلام خط أحمر ١٠٥
أمريكا هي الطاعون ١١٣
عدوان أميركي... كيف يرد عليه؟ ١١٨

الإمام الخامنئي يدين الإساءة للرسول(ص)

إثـر الإهانـة المقـزّزة التـي ارتكبهـا أعـداء الإسـلام ضـد السـاحة المنـوّرة للرسـول الأعظـم (صـلي الله عليـه وآلـه وسـلم) أصدر سماحة آية الله العظمـي الإمـام الخـامنئي قائـد الثورة الإسـلامية نـداء وجّهـه للشـعب الإيرانـي والأمـة الإسلامية الكبرى، اعتبر فيه اليد الخفية وراء الخطوة الشريرة هي السياسـات العدوانية التي تنهجها الصهيونية وأمريكا وسائر زعماء الاستكبار العالمي، وشرح أسباب حقد الصهاينة علي الإسلام والقرآن مؤكدًا: إذا كـان السـاسـة الأمريكـان صـادقين فـي دعـوى عـدم ارتبـاطهم فيجـب علـيهم معاقبـة منفـذي هـذه الجريمـة الشـنيعة وداعمـيهم المـاليين الـذين أفجعـوا قلـوب الشـعوب المسـلمة معاقبـةً تتناسب وهذه الجريمة الكبري.

و في ما يلي ترجمة نص النداء:

بسم الله الرحمن الرحيم

قـال الله العزيز الحكيم: ﴿يرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى الله إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

أيهـا الشـعب الإيرانـي العزيـز.. أيتهـا الأمـة الإسـلامية الكبـرى كشـفت اليـد القـذرة لأعـداء الإسـلام مـرة أخـرى وبإهانتهـا للرسـول الأعظـم (صـلي الله عليـه وآلـه وسـلم) حقـدها العميـق، وأثبتـت عبـر

خطوة جنونية كريهة غيض الجماعات الصهيونية الخبيثة من تألق الإسلام والقرآن المتزايد في العالم حاليًا. يكفي لقبح وجوه منفذي هذه الجريمة والذنب الكبيرأنهم استهدفوا بترهاتهم المقززة أقدس وأنورالوجوه بين مقدسات العالم. اليد الخفية وراء كواليس هذه الخطوة الشريرة هي السياسات العدوانية للصهيونية وأمريكا وسائر زعماء الاستكبارالعالمي الذين يريدون حسب أوهامهم الباطلة الهبوط بالمقدسات الإسلامية عن منزلتها الرفيعة في أعين الأجيال الشابة في العالم الإسلامي، و إطفاء مشاعرهم الدينية. لو لم يكونوا قد دعموا الحلقات السابقة لهذا المسلسل القذر، أي سلمان رشدي، ورسام الكاريكاتيرالدنماركي، والقساوسة الأمريكان الذين أحرقوا القرآن، ولم يطلبوا إنتاج عشرات الأفلام المعادية للإسلام في المؤسسات التابعة للرأسماليين الصهاينة، لما أفضى الأمراليوم إلي هذا الذنب العظيم الذي لا يقبل المغفرة. المتهم الأول في هذه الجريمة هي الصهيونية والحكومة الأمريكية. و إذا كان الساسة الأمريكان صادقين في ادعائهم عدم ارتباطهم فيجب عليهم معاقبة منفذي هذه الجريمة الشنيعة وداعميهم الماليين الذين أفجعوا قلوب الشعوب المسلمة معاقبة تتناسب وهذه الجريمة الكبرى.

و ليعلم الإخوة والأخوات المسلمون في كل العالم أن ممارسات الأعداء اليائسة هذه في قبال الصحوة الإسلامية دليل عظمة هذه النهضة وأهميتها، وبشارة بنموّها المتصاعد، والله غالب علي أمره.

السيد علي الخامنئي

٢٣ شهريور١٣٩١ هجرية شمسية

(٢٠١٢/٩/١٣ م)

تصاعد الاعتراضات

في إيران تجاه الفيلم المسيء للرسول(ص)

هبت الجمهورية الإسلامية الإيرانية بقيادتها وحكومتها وعلمائها وجماهيرها ساخطة غاضبة على ما ارتكبته اليد الأمريكية الصهيونية من إنتاج فيلم يسيء إلى الرسول الله صلى الله عليه وآله.

وعبّر المواطنون عن غضبهم بمسيرات صاخبة تعلن ولاءها وحبها وعواطفها تجاه رسول الرحمة، وتدين المحاولات الأمريكية الصهيونية التي تستهدف إهانة المسلمين والإساءة إلى مقدساتهم، وطالبت الجماهير في مسيراتها وقوف المسلمين صفًا أمام هذه الاعتداءات، وأن يفهم المسلمون عدوهم الحقيقي ولا يُخدعوا بما يصرفهم عن هذا العدو.

بيان المجمع العالمي للتقريب
حول الفيلم المسيء للرسول الاعظم (ص)

أصدر المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية بيانًا ندد فيه بالفيلم المسيء للرسول الكريم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه واله وسلم)؛ واصفًا «هذه الجريمة النكراء» بـ«حلقة من سلسلة الجرائم الكبرى التي يرتكبها بين حين وآخر دعاة الحضارة الغربيّة الزائفة"؛ داعيا العالم الإسلامي إلى "اتخاذ موقف موحّد في مواجهة هذه السياسة الشيطانيّة من قبل جميع المسلمين في كافة أقطار الأرض، وخاصّة من قبل الساسة وأصحاب القرارفي بلاد الإسلام عامة».

وفيما يلي نص البيان:

بسم الله الرحمن الرحيم

مرة أخرى امتدّت اليد الصهيوأمريكية لتنال من حرمة أشرف الخلق وسيد البشريَّة محمد صلى الله عليه وآله متحدّية بذلك الإنسانية الفاضلة والقيم العليا ومقدّسات أديان السّماء جمعاء.

إنّ هذه الجريمة النكراء حلقة من سلسلة الجرائم الكبرى التي يرتكبها بين حين وآخر دعاة الحضارة الغربيّة الزائفة، ومن ورائهم

الساسة الأمريكيون الذين كشفوا عن نواياهم في الأمس القريب بما أعلنوه من الحرب الصليبيّة على الإسلام والمسلمين.

إن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ليستنكر بشدّة هذه الجريمة الوقحة، وينذر مرتكبيها بما سوف ينتظرهم من الردّ القاسي من قِبَل جميع أتباع الديانات السماوية المؤمنة بالله وشرايع السماء، وخاصة جماهير المسلمين في مختلف بقاع الأرض، ويلفت نظر المسلمين في جميع أنحاء العالم إلى النقاط التالية:

أولًا: إنّ الهجوم على حرمة نبيّنا الحبيب محمد صلى الله عليه وآله لا يمثل عملًا عفويًا فرديًا على الإطلاق بل يعبّر عن مؤامرة مدبّرة تقف خلفها أجهزة الاستخبارات الأمريكية والصهيونية ويمثّل سياسة ممنهجة تهدف إلى سلب ما يتحد حوله المسلمون وضرب ما يصهر جماعاتهم ويوحّد صفوفهم وبالتالي كسر شوكة المسلمين و إذلالهم.

فلابد من اتخاذ موقف موحّد في مواجهة السياسة الشيطانيّة من قبل جميع المسلمين في كافة أقطار الأرض، وخاصّة من قبل الساسة وأصحاب القرار في بلاد الإسلام عامة.

ثانيًا: إنّ الهدف وراء هذه السلسلة من جرائم الهجوم على مقدّسات المسلمين وبالأخص نبيّنا الحبيب محمد صلى الله عليه وآله؛ رمز هويتنا، والقرآن العظيم وديعة الله بيننا ومصدر هويّتنا وكياننا، إنما هو ضرب الأمة الإسلامية في ما تقوم عليه شخصيتها

ويبني عليه كيانها ويجمع شتاتها ويوحّد جموعها.

إنّ الهدف من هذه الجريمة وأمثالها هدم المحورالأساس والعمود الفقري للأمة الإسلامية الواحدة التي جاءت بالصحوة الإسلامية التي انتشرت ـ ولله الحمد ـ في بلاد الإسلام لتبشّربها وبميلادها الجديد، هذه الأمة المحمديّة الواحدة التي بشرنا بها ربّنا وبقيادتها للعالم الجديد إذ قال سبحانه: ﴿وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ﴾.

ثالثًا: إن أهمّ ما ينبغي أن يقابل به هذا الهجوم هو توحيد الصف الإسلامي و إعادة بناء الأمة الإسلامية الواحدة على أساس من تعاليم القرآن الكريم والسنّة المحمديّة البيضاء.

إن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية يرى ويؤكّد أنّ مؤامرة الهجوم على مقدسات الإسلام تأتي منسجمة مع مؤامرة إثارة الفتن بين طوائف المسلمين وضرب بعضهم ببعض، إنهما لمؤامرتان خطيرتان تهدفان إلى شيء واحد وهو تمزيق الصف الإسلامي والحؤول دون قيام العملاق الإسلامي الصاعد وولادة الأمة الإسلاميّة الواحدة التي سوف تكون لها القيادة الكبرى للعالم البشري الجديد.

إنّ أهمّ ما يتوجب على المسلمين كافة في مواجهة هاتين المؤامرتين هو توحيد الصف الإسلامي والعودة إلى شريعة الله سبحانه وتعاليم القرآن العظيم والسنة المحمدية المجيدة، والسعي نحو تكوين الأمة الإسلامية العالميّة الواحدة.

فمعًا جميعًا أيها الإخوة المسلمون نحو حضارة إسلامية عالميّة.

ومعا جميعًا أيّها الإخوة المسلمون نحو مجتمع إسلامي موحّد يحكمه القرآن العظيم وسنة نبينا الكريم صلى الله عليه وآله.

ومعًا جميعًا أيّها الأخوة المسلمون نحو أمة إسلامية عالميّة واحدة.

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

٢٧ شوال ١٤٣٣

يكفي لقبح وجوه منفذي هذه الجريمة والذنب الكبيرأنهم استهدفوا بترهاتهم المقززة أقدس وأنورالوجوه بين مقدسات العالم. اليد الخفية وراء كواليس هذه الخطوة الشريرة هي السياسات العدوانية للصهيونية وأمريكا وسائرزعماء الاستكبارالعالمي الذين يريدون حسب أوهامهم الباطلة الهبوط بالمقدسات الإسلامية عن منزلتها الرفيعة في أعين الأجيال الشابة في العالم الإسلامي، و إطفاء مشاعرهم الدينية. لولم يكونوا قد دعموا الحلقات السابقة لهذا المسلسل القذر، أي سلمان رشدي، ورسام الكاريكاتيرالدنماركي، والقساوسة الأمريكان الذين أحرقوا القرآن، ولم يطلبوا إنتاج عشرات الأفلام المعادية للإسلام في المؤسسات التابعة للرأسماليين الصهاينة، لما أفضى الأمراليوم إلي هذا الذنب العظيم الذي لا يقبل المغفرة.

بيان السيد القائد بمناسبة جريمة الفلم السيء

السيد حسن نصر الله
يدين الأيدي الآثمة

نص كلمة السيد حسن نصر الله خلال التظاهرة التي شارك فيها شخصيًا للتنديد بجريمة إهانة الرسول(ص):

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين وأصحابه المنتجبين وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

السادة العلماء، الإخوة والأخوات، يا أشرف الناس وأطهرالناس وأكرم الناس، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إنني في البداية أتوجه بالشكرإليكم جميعًا على حضوركم اليوم، وعلى تلبيتكم الكبيرة والسريعة، وعلى استجابتكم لنداء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومنذ أكثرمن ساعة وحناجركم تصدح، ولتبقى تصدح: لبيك يا رسول الله.

أشكركم جميعًا، وأخص بالشكرالسادة العلماء من الشيعة والسنة وممثلي القادة الروحيين المسيحيين وممثلي الأحزاب اللبنانية

والوطنية، وأخص بالشكر أيضًا إخواننا في قيادة حركة أمل الذين دعوا للمشاركة في كل هذه المظاهرات.

أيها الأخوة والأخوات: يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه المجيد: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، هؤلاء الذين يؤذون رسول الله، عقابهم وانتقامهم سيكون إلهيًا، ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ، مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ، سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ، وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ، فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ (صدق الله العلي العظيم).

اليوم، نأتي إلى هنا، لأقول أنا وليقول كل واحد منكم: يا رسول الله فداؤك نفسي ودمي وأبي وأمي وأهلي وولدي ومالي وكل ما خوّلني ربي، فداء كرامتك وهيبتك وعنفوانك وشرفك وعرضك.

وأنا أريد معكم، أن يسمع العالم هذا النداء، فقولوا معي كلمةً كلمة: يا رسول الله، فداك يا رسول الله، نفسي ودمي، وأبي وأمي، وأهلي وولدي، وكل مالي وما خوّلني ربي، فداء كرامتك وعرضك وشرفك.

هكذا أيها الأخوة والأخوات يجب أن يفهم العالم حقيقة علاقتنا وارتباطنا بنبينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

البعض حتى الآن لم يدرك مستوى الإهانة التي تعرض لها رسول الله من خلال بعض مشاهد هذا الفيلم المسيء. لقد طعنوا في طهارة مولده، لقد طعنوا في إيمانه وأخلاقه، لقد طعنوا في قرآنه، لقد طعنوا

في أزواجه، لقد طعنوا في سيرته و إسلامه، وهذا خلال ١٢ دقيقة، أما إذا خرج الفيلم (بمدّة)الساعتين، ماذا ستكون النتيجة؟ إذا كانت كرامة المؤمن أعزعلى الله من الكعبة فكيف إذا كان هذا المؤمن هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم.

نحن هنا لنعلن رفضنا، وبداية التحرك الذي يجب أن يستمر لخدمة أهداف واضحة، من الحد الأدنى إلى الحد الأعلى:

أولًا: وقف نشرالمقاطع المسيئة على مواقع الأنترنت ومحاسبة منتجي هذا الفيلم.

ثانيًا: منع نشرالفيلم الكامل من قبل الأميركيين.

ثالثًا: سد الباب نهائيًا على إمكانية الإساءة لنبيّنا ورسولنا وقرآننا ومقدساتنا. ولذلك، نحن ندعو ـ لأن هذه المسألة تعني كل المسلمين في كل بلاد المسلمين ـ ندعو الجميع إلى تشكيل فرق تخطيط وتفكيروعمل، كيف يمكن أن نحقق هذه الأهداف الثلاثة.

لاأريد أن أعيد ما قلته بالأمس، لكن يكفي أن أذكرعلى سبيل المثال في الهدف الأول أن تقوم كل حكومة وكل دولة بحجب المواقع التي تنشرهذه المشاهد المسيئة، وأن يقاطع الناس في كل العالم، وخصوصًا المسلمين، أن يقاطعوا المواقع، مواقع الانترنت التي تصرّعلى بث هذه المقاطع المسيئة.

في الهدف الثاني يجب أن تفهم أمريكا التي تحتج وتخادع بعنوان حرية التعبير، يجب أن تفهم الولايات المتحدة الأميركية أن بثّ

الفيلم كاملًا ستكون له في العالم تداعيات خطيرة وخطيرة جدًا.

وعلى مستوى الهدف الثالث يجب أن تعمل كل شعوبنا وحكوماتنا على الضغط على المجتمع الدولي لإصدار قرار دولي وقوانين وطنية في كل العالم تجرّم الإساءة للأديان السماوية ولأنبياء الله العظام، لإبراهيم، وموسى، وعيسى المسيح، ومحمد بن عبد الله صلوات الله عليهم أجمعين.

إن عدم قيام الأمة الإسلامية وحكام العالم الإسلامي بإنجاز هذه المهمة هو تقصير عظيم بحق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو إبقاء للباب مفتوحًا لأفلام جديدة و إهانات جديدة و إساءات جديدة، لا نعرف إلى أين ستؤدي.

أيها الأخوة والأخوات: غضبتنا اليوم، لن تكون حركة عابرة، و إنما هي بداية لحركة جدية يجب أن تتواصل على مستوى الأمة كلها للدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وما حصل هذه الأيام يجب أن يؤكد للمسلمين جميعًا أن عليهم أن يتعاونوا ويتقاربوا ويتوحّدوا لخدمة الأهداف المشتركة، ولو باينت بينهم ملفات من هنا وهناك. وما حصل هذه الأيام يجب أن يؤكد وعيًا كبيرًا لدى المسلمين والمسيحيين و إصرارًا عظيمًا على العيش المشترك، وعلى فهم العدو، وعلى توجيه الغضب باتجاه العدو الحقيقي. فلا يُورَطنَّ أحدنا في فتنة. هذه هي مسؤوليتنا جميعًا.

إنني اليوم سأكتفي بهذا المقدار، وأقدّر لكم وأقول لكم : إن

أجركم وثوابكم عند الله عظيم جدًا، و إن موقعكم اليوم عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عظيم جدًا. أنتم الأوفياء، أنتم أحباء أبي عبد الله الحسين (ع). فليعرف العالم أن حشودنا التي يراها يوم العاشرمن محرم وكل هذا الصبروكل هذا الثبات هو دفاع عن حفيد الرسول، عندما نجتمع يوم العاشرونصرخ كلنا لبيك يا حسين، عندما نقف يوم العاشرونصرخ أيضًا في وجه العالم كله: «ألاإن الدعي ابن الدعي قد ركزبين اثنتين بين السلة والذلة، هيهات منا الذلة».

نقول لهم اليوم أن هذا الإمام العظيم هو حفيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، هذا دين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ما عند الحسين عليه السلام وما في كربلاء وما عند أهل بيت النبي صلوات الله عليهم وصحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمة النبي كله من هذا النبي العظيم محمد صلى الله عليه وآله وسلم. ولذلك لا يتوهمنّ أحد أن هذه المعركة يمكن التسامح فيها أو العبورعنها.

وكما بدأنا نختم: يا رسول الله، يا رسول الله، فداك نفسي ودمي، وأبي وأمي، وأهلي وولدي، وكل مالي، وما خوّلني ربي. إن دماءنا وأرواحنا وأولادنا وحياتنا ترخص أمام كرامة رسول الله وعرض رسول الله وشرف رسول الله والله على ما نقول شهيد، ودماء شهدائنا تشهد وجراح جرحانا تشهد وبيوتنا المهدمة تشهد، ما دام فينا دم، لن نسكت عن إهانة نبينا وسيبقى الصوت عاليًا: لبّيك يا رسول.

السيرة النبوية
في الإطار الحضاري

لقد كان قرار المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية صائبًا حين عزم على إقامة مؤتمره السنوي قبل ست سنوات باسم "رسول الله"(ص)، فقد تسمّى العام الهجري الشمسي آنئذ باسم رسول الله، ثم إن سيرة الرسول فيها من دروس الوحدة وتقريب القلوب ما يستطيع –لو أنزلناه إلى ساحة العمل –أن يجعل منّا أمة واحدة تتعالى على الصغائر وتسمو إلى الأهداف والمقاصد الإسلاميّة الكبرى.

كنت في موسم الحج الذي سبق ذلك العام في مكة المكرمة حيث أقيمت ندوة الحج الكبرى تحت عنوان «التيسير في فريضة الحج" وكان المتحدثون مجمعين على أن التيسير أصل فقهي تقوم عليه شعائر الدين بأجمعها بما في ذلك مناسك الحج مستندين في ذلك إلى ما كرّره رسول الله(ص) مرارًا في حجّة الوداع: "افعل ولا حرج» [1].

---

١ - انظر كتاب "افعل ولا حرج" سلمان بن فهد العودة وتقديم ثلاثة من كبار المشايخ، ط ٢، ١٤٢٧هـ. سلسلة إصدارات الإسلام اليوم، الرياض.

ثم كان المجتمعون يعرضون صورًا من حج الصحابة والتابعين وما كانوا يلتزمون به من منهج التيسير، إلى جانب ذلك عرضوا صورما آل حج المسلمين اليوم من تزاحم وتدافع وهجوم على الجمرات وعلى استلام الحجر، والحوادث المؤلمة التي تنتج عن ذلك، كما عرضوا للفتاوى التي تعسّرالحج ولا تيسّره، وتزيد من التدافع والزحام ولا تفضّه.

وكان لي في إحدى الجلسات سؤال قال عنه بعض الإخوة الحاضرين إنه يلخّص كلّ مشاكلنا الراهنة.

سألت: ما السبب في تحول منهج التيسيرعند الصحابة إلى منهج تعسيروتشديد عندنا؟ ألا يعود ذلك إلى عامل حضاري هو أن الجيل الإسلامي الأول كان قد وضع أمامه رسول الله(ص) أهدافًا كبرى ومقاصد عليا، وكان همه الأول هو تحقيق رضا الله سبحانه عن طريق تحقيق تلك الأهداف والمقاصد، بينما حياة المسلمين الراهنة قد خلت من تلك الأهداف والمقاصد الكبيرة، فرحنا نبتغي رضا الله سبحانه في تكريس الذهن والفكروالفقه على مسائل الطهارات والنجاسات وطريقة تحريك الأصبع في الصلاة وموعد رمي الجمرات؟!

كان ذلك السؤال سببًا لقرارصدرفي البيان النهائي بشأن ضرورة دراسة الحج في الإطارالحضاري.

هذه الحقيقة.. حقيقة ضرورة دراسة السيرة النبوية المباركة ضمن

إطارالمشروع الحضاري الإسلامي وددت من الضروري أن تتبلورفي إطارقرار ومشروع عمل يتواصل على مرّالسنني بإذن الله تعالى.

لكي أوضّح ما ذكرت أشيرإلى أن مقصد الإسلام الأوّل هو "الإحياء": ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ والتأكيد على ذكرالرسول بعد الله في الآية هو تأكيد على المنهج الإحيائي في سنة رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام.

والحياة يستتبعها نموّ وحركة تكامليّة.. وهكذا كان الجيل الإسلامي الاوّل.. فتحرك في جميع مجالات حياته أفقيًا ليمتدّ على ظهرالمعمورة وعموديًا ليفكّرويبدع وينتج.. وعظمة هذه الحركة نستطيع أن نفهمها أكثرحين نقارن بين حياة العرب قبل الإسلام حيث لا تطويرولا تقدّم ولا حركة تكاملية، و إنّما حياة تكرارية تراوح في مكانها، وبين حياة العرب بعد الإسلام[1].

وهذه الحركة التكاملية أدّت إلى نشوء حضارة يعترف بها كل العالم من حيث عظمتها ومن حيث تميّزها الإنساني.

من هنا فإن تفعيل سنة رسول الله(ص) في مجتمعنا ينبغي أن نفهمه على أساس إحيائي.. الإحيائيون وحدهم هم المتمسّكون بالسنّة النبوية، أما الذين يشغلون الناس بخلافات هامشية وجانبية باسم السنّة النبوية فماهم باحيائيين ، ولا منهجهم من منهاج السنّة النبويّة الشريفة.

---

١ - انظر: المدرسة القرآنية، محمد باقرالصدر، مركزالابحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، قم ١٤٢١هـ

ولإن ذكرت سؤالي في ندوة الحج الكبرى، فلأذكرنّ أيضًا حديثًا مقتضبًا أدليت به في إحدى الجلسات المسائية التي عقدها القائمون على تلك الندوة في منى. طلب منى الإخوان في المجلس مشكورين أن أتحدث عن الأخوّة الإسلامية، فخطرأول ما خطرفي ذهني قوله سبحانه وتعالى: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلّ إخوانًا على سررمتقابلين﴾ (الحجر/ ٤٧).

الآية الكريمة تتحدث عن أهل الجنّة طبعًا، ولكن فيها إشارة هامة إلى أنّ الأخوّة تتحقّق في ظل "نزع الأغلال من الصدور"، وهذه الحقيقة لها مصاديقها في هذه الدنيا أيضًا.

ومهمّة رسول الله(ص) الأولى هي أنه ﴿يضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ (الأعراف/١٥٧) والاغلال هي القيود التي تعيق حركة الإنسان والمجموعة البشرية على طريق كمالها وحياتها. الأغلال تحوّل الحياة إلى موت والحركة إلى سكون، والتطويرإلى تكرار، والسيرإلى مراوحة في المكان.

الأغلال تنطلق من طبيعة الطين التي خُلق منها الإنسان، و إن طغت فإنها تصادر"نفخة روح رب العالمين" في هذا الموجود المكرّم.

والأغلال القائمة في حياة البشرية أنواع بحسب ظروفها التاريخية والمعيشية. واليوم نرى الأغلال القوميّة والأغلال الطائفية والأغلال الحزبيّة والأغلال العشائرية و.. أنواع الأغلال الأخرى استفحلت في حياتنا وكلّها أغلال الذاتية والأنانية لتمزّق أمتنا ولتجعلها عرضة للناهب وقصعة للآكل.

ولا يخفى ما كان للنهج النبوي من موقف صارم تجاه هذه الأغلال، فقد كان يقف بقوّة أمام أي إطارقَبَلي يريد أن يعيد عصبيات النزاعات الجاهلية، ويردّ بقوّة على أي تعصّب قومي أو اثني.

ومن محاورالنهج الحضاري في السيرة النبوية الانفتاح على الآخر، فقد أقرّت السيرة كلّما كان صالحًا وطيبًا عند العرب الجاهليين، ولم ترفض كلّ ما عندهم، وهذا النهج سرى إلى سيرة الصحابة والتابعين في تعاملهم مع الشعوب الأخرى التي دخلت الإسلام.

ومن هذه المحاورأيضًا الحثّ على التعلّم والتعليم والتفكيروالعمل والانتاج والاكتفاء الذاتي.

ومن هذه المحاور ولعلّه أهمّها غرس الشعوربالعزّة والكرامة في نفس الإنسان المسلم ونفوس الجماعة المسلمة، وأودّ أن أقف عند هذه النقطة لاعتقادي أنها أصل أصول الدين، وأنها مغيّبة إلى حدّ كبيرفي حياة المسلمين ومستهدفة إلى حدّ كبيرمن قبل أعدائهم المتربّصين.

لا يخفى ما أعارته السنة النبوية من أهمية لكرامة الإنسان وحرمته وعزّته، فقد تظافرت نصوص الحديث والسيرة بشأن كرامة الجنين والطفل والشاب والشيخ والميّت، وبشأن تفويض الأمورللإنسان كلّها إلاّأن يكون ذليلًا، وبشأن النهي عن ممارسة كل عمل يحطّ من كرامة الإنسان ويوهنه حتى ولو كان من الواجبات، وبشأن وجوب

ممارسة كل عمل يعزّالإسلام والمسلمين، والإعراض عن كل عمل من شأنه أن يوهن الإسلام ويوهن من سمعة المسلمين.

وعلى هذا النهج سارالصحابة والتابعون وأئمة أهل البيت، فقدمّوا كل غال ونفيس من أجل الحفاظ على كرامة المسلمين وصيانة روح العزّة في المجتمع الإسلامي، حتى أصبح شعار"هيهات منّا الذلة" يلخّص هدف ثورة الحسين والثوارالرساليين على مرّالتاريخ إلى يومنا هذا.

وهذا التركيزالكبيرعلى عزّة الإنسان وكرامته يرتبط بالإحياء، فالإنسان العزيزحيّ، والذليل ميّت. المسألة حضارية إذن ترتبط بحركة الإنسان التكاملية.

ولو أردنا تفسيرذلك على ضوء النظرة الإسلامية للإنسان، فإن العزّة في الإنسان تعني حركته نحوالعزيزالمطلق وهو الله سبحانه وتعالى، والذلة هي نكوصه عن هذه الحركة. والإنسان في النظرة الإسلامية خلق لأن يتحرك نحو مَثَله الأعلى المطلق سبحانه.

ولأن العزّة حياة، فالمجتمع الذي يستشعرالعزّة تترابط أجزاؤه برباط عضوي حتى إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائرالجسد بالسهروالحمّى، أما المجتمع الذليل فمفكّك متشرذم، والتفكك والتشرذم يؤدي إلى النزاع والصراع حتمًا، لعدم وجود الوحدة العضوية في ذلك المجتمع الذي تحسبه واحدًا وقلوب أفراده شتّى.

من هنا نفهم أن مشروع التقريب بين المذاهب أوالقوميات أو

الشعوب لا يمكن أن يحقّق نجاحًا في جوّ يسوده الإذلال، لابد من سيادة روح العزّة في نفوس أبنائه. ومن نظرة واحدة على وصيّة الإمام الخميني فقط يتبين لنا مدى اهتمام هذا القائد الراحل بمحور عزّة الأمة.

وقد لانجانب الصواب إذا قلنا إنّ ما يجري اليوم في العراق من تمترس طائفي إنّما هو إفراز لسنوات طويلة من الإذلال فرضت على الشعب العراقي سنة وشيعة بل حتى على أعضاء حزب البعث العراقي، بل حتى على المقربين من رئيس النظام العراقي السابق لسنوات طويلة، والإذلال قد نجد له تاريخًا أطول في العراق يعود إلى العصرالعثماني، بل إلى عصرالحجاج بن يوسف الثقفي.

وهنا ألقي الضوء قليلًا على محاولات إذلال الأمة الإسلامية في عصرنا الراهن. لقد شعرت الأمة الإسلامية بحالة الذلّ والهوان منذ قرون عديدة نتيجة طغيان الأجهزة الحاكمة فيه، ونتيجة الهجمات المتوالية التي تعرضت لها من الغُزّ والمغول والصليبيين، لكن الإذلال الأكبرحدث حين سقط العالم الإسلامي أمام الغزو الغربي، فتجاه هذا الغزو حدثت هزيمة عسكرية وداخلية. وجاء مشروع إقامة دولة الصهاينة في قلب العالم الإسلامي لتكريس هذا الإذلال، وعمليات الإذلال مستمرّة إلى يومنا هذا.

إحدى صورالإذلال تفويت الفرص وتحويلها إلى تحديات. أية فرصة تتاح للعالم الإسلامي يستعيد فيها عزّته تُصادَربسرعة، والوتر

الطائفي من أشهر عمليات المصادرة هذه. وليست تجربة الثورة الإسلامية في إيران عنّا ببعيدة، فانتصارها بعث موجة من العزّة كادت أن تعيد الأمة إلى حياة جديدة، لكنها حوصرت وفُرضت عليها حربٌ ضروسٌ تحت عنوان محاربة «الفرس المجوس»، وفي أفغانستان توفّرت ظروف هائلة لاستعادة العزّة بعد انتصار الفصائل الإسلامية على ثاني قوة كبرى في العالم وهي الاتحاد السوفيتي السابق، لكنهم حوّلوا هذا الانتصار إلى مأساة كبرى في هذا البلد المغلوب على أمره. وفي العراق توفّرت ظروف لأن يتولى الأمور فتية آمنوا بربهم تربّوا في مدرسة الشهيد الصدر، وقدّموا قوافل الشهداء من أجل عزّة أمتهم، لكنهم واجهوا حربًا مدمّرة لاتزال مستمرة تحت عنوان محاربة «الصفويين». وفي لبنان سجلت المقاومة الإسلامية واحدًا من أروع الانتصارات في تاريخ المسلمين على أعتى عدوّ، لكنّ هذا الانتصار الذي اعترف به الصهاينة تنكّر له من تنكّروحولوه إلى مواجهة طائفية أيضًا.

و إحدى صور الإذلال ما يعرض على العالم الإسلامي في بعض الفضائيات الناطقة بالعربية وبغيرها من لغات العالم الإسلامي. برامجها تتجه نحو تكريس الإذلال، عن طريق إضعاف المعنويات وتطبيع عملية الخضوع للعدوّ، و إبراز وجه العالم الإسلامي على أنه صراع دموي لا يهدأ ليل نهار باسم الدين، وعلى أنه ساحة للخرافات والشعوذة والتكفير ورفض الآخر باسم الدين أيضًا. وكل ذلك يكرّس حالة الإذلال.

من هنا فنحن بحاجة إلى بلورة مشروع آخر ضمن مشروع دراسة السيرة النبوية في إطار حضاري، هو دراسة العزّة في السيرة النبويّة.

والدراسة في هذا المجال يمكن أن تعين العاملين في حقل التربية والتعليم والإعلام على نشر ثقافة العزّة، وكلّ منا بحاجة إلى هذه الثقافة في التعامل مع زوجه وأبنائه وأصدقائه وطلابه ومراجعيه، وبمن يتعامل معه يوميًا.

وقضية العزة أساس حضاري هام وعامل إحيائي كبير، فطن إلى أهميته الفكر الإنساني على مرّ التاريخ ابتداء من أفلاطون إلى فوكوياما[1]. في عصرنا الراهن. وعسى أن يعي عليه المسلمون ويعتبروه بداية لابدّ منها للتقريب وللحياة وللاستئناف الحضاري وبالله التوفيق.

---

١ - انظر نهاية التاريخ والإنسان الأخير، فرانسيس فوكوياما، مركز الانماء القومي، بيروت، ١٩٩٣.

السيرة النبوية والرق

محمد فريد وجدي [1]

لـم يُحـلّ الإسـلام الـرقّ إلاّ فـي حقّ من يؤسـر فـي حـرب شـرعية، أي مسـتوفاة لمـا تقـره الشـريعة من بواعثها وغاياتها؛ أمـا مـا يكـون منهـا مثـاره اختطـاف الولـدان والبنـات بشن الغارات على القبائل السودانية أو غيرها. مما اعتيد اتخـاذ العبيد والجواري منها، فعمل جاهلي لا يجوزلأمة مسلمة أن تقدم عليه، و إن فعلت كان عليها وزره، وتحمل تبعاته، ما أبقت عليه أو تغاضت عنه. يُروي أن واحدًا من أهل العلم المسلمين أراد أن يشتري عبدًا يستعين به، فلم يهتد إلى واحد تنطبق شروط الشرع الإسلامي على وسائل أسره، فأقلع عن شرائه متورعًا عن التورط في أمر إثمه أكبرمن نفعه.

ومـن يتأمـل فـي الوسـائل التـي كـان يتـذرع بهـا الـذين كـانوا يقومون باختطاف الغلمان والبنات من بلاد السودان، وتكديسهم

---

١ - مديرمجلة الأزهرسابقاً.

في الحجرات الضيقة جياعًا وعطشى ليحملوهم منها إلى السفن التي توزعهم على البلاد التي تروج بها تجارتهم، يخيل إليه أن هؤلاء من الأنعام التي أعدت للذبح، لا أنهم من البشر الذين لهم حق في الحياة وفي التمتع بمزاياها كسائر إخوانهم من ذرية آدم وحواء.

ولما اكتشف الأوربيون أمريكا كانوا يرسلون بسفنهم إلى شواطئ أفريقا فيختطفون من السود ألوفًا ويقذفون بهم فيها حتى تضيق بهم، فكان يموت منهم وهم فيها عدد كبير، فيقذفون بهم في اليم، ويسخّرون من بقي في تمهيد الأراضي للزراعة، مثلهم فيها كمثل الأنعام، غير متكلفين في مأكلهم وملبسهم ما هو ضروري للحياة، فتجتاحهم الأمراض والأوبئة، مع أنه لو لا هم لشق على الأوربيين تمهيد تلك الأراضي واستغلالها، فكان هؤلاء الأسرى يعيشون محرومين من الحقوق الاجتماعية، بل والبشرية أيضًا، فلا حق لهم يطالبون به، ولا حامي لهم يلجأون إليه ولا يزال في أمريكا عشرات الألوف من ذراريهم عاشوا فيها منبوذين إلى عهد غير بعيد، فلما أهلَّ لديهم عهد الدستور، منح السود بعض الحقوق، ولكن النفوس لم تر رأي الدستور، فبقى السود منحطين في نظر البيض، حتى كانوا يمنعونهم من غشيان المحلات العامة، ولم تخف وطأة هذا الاضطهاد إلا في السنوات الخمسين الماضية من القرن الذي نحن فيه، ولم تزل منه بقية هنالك.

أين هذا مما شرعه الإسلام في الاسترقاق منذ أربعة عشر قرنًا، إذ

حصره في أسرى الحروب الشرعية، لا في السود ولا في أي جنس بعينه، فليس لمسلم حق في أن يشتري إنسانًا لم يكن أسير حرب شرعية، فأين هذا مما كانت عليه الأمم، بل أين هم مما شرعه في حقّ من يحلّ أسره من حسن المعاملة، والرفق والمرحمة، مما حلّى الله به خاتم رسله من فهم معنى الحياة البشرية، وفقه أصولها القيمة، والوعي الصحيح للعدالة المثالية التي عجزعن وعيها إلى عهده أئمة العلم، وأراكين الفلسفة.

وقبل أن نلم بالوصايا التي جاءت في الإسلام في موضوع الرق والأرقاء نعطي القراء فذلكة عن تاريخ الاسترقاق عند الأوروبيين الذين أكثروا من التشنيع علينا بسببه كأنّنا نحن الذين ابتدعوه أو أسرفوا فيه:

وجد الاسترقاق منذ وجد الإنسان، فإن القوي يغلب الضعيف ويأسره ويسخره لخدمته.

وكان المصريون القدامى والبابليون والبراهمة الهنديون والفرس يتخذون الأرقاء ويعاملونهم بقسوة ووحشية.

وكان اليونانيون الأولون يتخذونه أيضًا، وأقره كبار فلاسفتهم، ومنهم أفلاطون وأرسطو، بل زعم الأخير أن أرواحهم كأرواح الحيوانات غير مخلدة. أما الرومانيون فقد توسعوا في الاسترقاق إلى حد بعيد؛ واتفقت الأمم القديمة على استعمال القسوة ضد الأرقاء.

وقد أقر الإسرائيلوين الاسترقاق ولم يتناولوه بأقل تغيير.

ولما جاءت الديانة المسيحية اعتبرت الاسترقاق شرعيًا، وقد ذكر

العلامة (دريبر) الأستاذ بجامعة (هارفارد) بالولايات المتحدة الأمريكية: أن آباء الكنيسة كانوا يكاثرون الكونتات في اقتناء الأرقاء.

أول قانون صدرفي أوروبا لتخفيف ويلات الاسترقاق كان قانون الامبراطور(بترونيا) الروماني، وهو يحرم على السادة إلزام ارقائهم بمقاتلة الوحوش إلا بإذن القاضي!.

وفي عهد الإمبراطورأنتونان الروماني صدرأمريقضي بأن من يقتل عبده يعاقب بغرامة!

نعم صدرقانون في عهد الإمبراطور(كلوبوس) الروماني يقضي بأن من يقتل عبده يعتبرمرتكبًا لجناية القتل،، ولكن بطل العمل بهذا القانون بموت واضعه.

وأول قانون صدرفي شأنهم بعد القرون الوسطى كان سنة (١٦٨٥) وقد جاء فيه: إنه إذا اعتدى أحد الزنوج أقل اعتداء على سيده، أو على أحد الأحرار، أو ارتكب أخف السرقات، فإن جزاءه القتل.

وصدرفي عهد لويز الرابع عشرالفرنسي أي في القرن الثامن عشر هذه الفقرة: «إن مِن توفيةِ حق النظام أن لا نتنازل عن احتقارالجنس الأسود مهما كانت منزلته، وقد حصل التصميم على إبقاء الحكم الاعتباري الذي يحرم ذوى الألوان وذريتهم من امتيازات الجنس الأبيض إلى أبد الأبيد».

أين هذا مما رفع به الإسلام قدرالإنسانية من المساواة بين جميع أبنائها، بصرف النظرعن الأجناس والألوان، فقال رسوله محمد

(صلى الله عليه وسلم): «ليس لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود فضل إلا بالتقوى أو بعمل صالح»، فهدم بهذا الأصل الخطير حوائل الألوان التي كانت تحول دون إقرار العدل في نصابه في جميع البلدان، ثم قرر للأرقاء الحقوق نفسها التي للأحرار، بل جعل للأرقاء، وهو أرفع عَلَم يمكن نصبه للعدالة المثالية، مزايا ليست للأحرار، وذلك بإعفاء الأرقاء من أنصاف العقوبات التي يحكم بها على الأحرار في الجرائم المختلفة....

وهنا يحسن بنا أن نعرض على القراء طائفة من الأحاديث في هذا الشأن، تبين سمو النفسية المحمدية، ومبلغ ما وصلت إليه من الكمال. قال (صلى الله عليه وسلم): «اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم، أطعموهم مما تأكلون، واكسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون. فما أحببتم فأمسكوا، وما كرهتم فبيعوا، فإن الله ملككم أياهم ولو شاء لملكهم إياكم».

وسأله رجل فقال: يا رسول الله، كم أعفو عن الخادم؟ فصمت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم قال: «اعف عنه في كل يوم سبعين مرة».

قال بان المنكدر: إن رجلا من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ضرب عبدًا له فجعل العبد يقول: أسألك بالله، أسألك بوجه الله، فلم يعفه. فسمع رسول (ص) صياح العبد فانطلق اليه فلما رأى الصحابي رسول الله أمسك يده. فقال له رسول الله: سألك بوجه الله فلم تعفه، فلما رأيتني أمسكت يدك. قال الرجل فإنه حر لوجه الله يا رسول الله. فقال له النبي: لو لم تفعل لسفعت وجهك النار».

وقال (صلى الله عليه وسلم): «أرقاؤكم أخوانكم (تأمل) استعينوهم على ما عليكم، وأعينوهم على ما عليهم».

وقد اقتدى أصحاب رسول الله به، وأنزلوا أرقاءهم المنزلة التي أرادها لهم، على اعتبار أنهم إخوانهم لا عبيدهم. ومن ذلك ما يروي: «أن أبا هريرة رأى رجلا على دابته وغلامه يسعى خلفه. فقال له يا عبد الله احمله خلفك فإنما هو أخوك روحه مثل روحك، فحمله، ثم قال أبو هريرة: لا يزال العبد يزداد من الله بُعدًا ما مُشي خلفه».

وقال الإمام الزهري: «متى قلت للمملوك أخزاك الله، فهو حر».

وقد جرى المسلمون في جميع العصور على مبادئ الرحمة لهم، وكان من أظهر ثمراتها: أن كثيرًا من الأرقاء وصلوا تحت سلطانهم إلى أعلى المراتب، وأرفع المناصب؛ ومنهم من تولى الملك أيضًا. وهذا أغرب ما نرويه عند ذكر الاسترقاق.

والفضل في هذا كله لخاتم المرسلين محمد (صلى الله عليه وسلم) فإنه لسمو روحه ورجاحة عقله، أدرك أن الاسترقاق عرض زائل لا يمنع أصحاب الكفايات العقلية والنفسية من بلوغ أقصى ما يبلغه أي إنسان من المراتب الأدبية والمادية. وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) أول من طبق هذا على العمل فولّى بلالا المدينة، وكان فيها أبو بكر وعمر وكثير من كبراء الصحابة، ولم يمنعه من توليته أنه كان عبدًا حبشيًا لأبي بكر وهو الذي أعتقه.

فهذه الروح العلوية، ولا أقول العبقرية، هي التي جعلت محمدًا محمدًا

الهجرة النبوية والحكم الأجنبي

عبد المتعال الصعيدي[1]

يجب أن نفهم الهجرة النبوية من ناحيتها السياسة فهمًا جديًا، ولا شيء في أن يكون للهجرة النبوية ناحية سياسية توحى بهذا الفهم الجديد، لأن الإسلام دين وسياسة.

فقد مضى على الإسلام في مكة ثلاث عشرة سنة يكافح حكمًا أجنبيًا كفاحًا سياسيًا سلميًا، يحاول أن ينال منه أنصافًا، وأن يعيش في ظله آمنا، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحاول التخلص من هذا الحكم الأجنبي الظالم، ويعرض نفسه على القبائل العربية قبيلة بعد قبيلة، لعله يجد منها قبيلة تخلّصه من هذا الحكم، وينال بها ما ينشده من الحرية الدينية والسياسية لهذا الدين وأهله.

ولما لم يجد من القبائل العربية من يساعده على الوصول إلى هذه

---

١ - أستاذ بكلية اللغة العربية سابقًا.

الغاية، جمع أصحابه من المسلمين وقال لهم: تفرقوا في الأرض، فإن الله سيجمعكم. فسألوه عن الوجه، فأشار إلى أرض الحبشة، فعند ذلك تجهز ناس من المسلمين للهجرة إلى هذه الأرض، وهذه هي الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة، وكان عدة أصحابها عشرة رجال وخمس نسوة.

و بقى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمكة مع من بقى فيها من المسلمين، ولم يهاجر مع من هاجر منهم إلى أرض الحبشة، لأنه كان يبغى لدينه وأهله الحرية الدينية والسياسية معًا، وهذه الهجرة إلى أرض الحبشة إنما تحقق الحرية الدينية، ولا تحقق الحرية السياسية، وكانت الحبشة في ذلك الوقت تدين بالنصرانية، وكان لها ملك يسمى النجاشي، فكان من هاجر إليه من المسلمين يعيش في حكمه، و إن كان يتمتع فيه بحريته الدينية، فلم يرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم لنفسه أن يعيش في هذا الحكم، لأنه يريد حكمًا خالصًا للمسلمين، يكون فيه هو الرئيس الأعلى لهم، ويكون المسلمون تابعين له وحده لا لغيره، على أن من هاجر من المسلمين إلى أرض الحبشة كان يكتفى بينهم بدينه، ولا يفكر في دعوة أحد من أهل الحبشة إليه، لئلا يثير عداء منهم لهم، وما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليرضى لنفسه في أرض الحبشة بذلك، لأنه مأمور بتبليغ رسالته لهم ولغيرهم، ولهذا كان يبغى لنفسه وللمسلمين الحرية الدينية والسياسية معًا، ليقوم بتبليغ رسالته في ظل

حكم إسلامي خالص، ولا يكون تابعًا سياسيًا لحكم أجنبي لا يرتاح لتبليغ رسالته.

ولم يمكث أولئك المهاجرون بالحبشة إلا ثلاثة أشهر، ثم رجعوا منها إلى مكة بعدها، لأنهم لم تتيسر لهم الاقامة فيها، وقد ساءت قريشًا هجرتهم، فمانعت في دخولهم مكة بعد رجوعهم، ولم يتمكن من الدخول إليها الأ مَنْ وجد له مجيرًا من أشرافها، لأنها عدت هجرتهم خيانة لها، وطعنًا في حكمها، فأخرجتهم من جنسيتها، كما تخرج الحكومات الآن من جنسيتها من يخرج عليها ويفّر مِن حكمها إلى بلاد أخرى، فلا يكون لهم حق الإقامة ثانيًا في بلادها، إلا إذا عفت عنهم بوسيلة تراها.

ثم كان أن اشتدت قريش في أمر المسلمين، وأجمعت على منابذة بني هاشم وبني المطلب ولدي عبد مناف و إخراجهم من مكة، فانحازوا إلى شعب أبي طالب مسلمهم وكافرهم، ما عدا أبا لهب لأنه كان مع قريش، وانخذل عنهم بنو عميهم عبد شمس ونوفل ابني عبد مناف، فجهدوا في ذلك الشِّعب حتى كانوا يأكلون أوراق الشجر، لأن قريشًا قاطعتهم مقاطعة تامة.

و هنا رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يأمر جميع المسلمين أن يهاجروا ثانيًا للحبشة، حتى يساعد بعضهم بعضًا على الاغتراب، ولعله يخفف بذلك شيئًا من شدة قريش على بني هاشم وبني المطلب، ولا سيما مَنْ بقي على الشرك منهم، لأنهم لا ذنب لهم فيما

يصيبهم بسبب المسلمين، فهاجر معظم المسلمين إلى الحبشة، وكانوا نحو ثلاثة وثمانين رجلاً، وثماني عشرة امرأة، ولم يفكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أن يهاجر معهم، كما لم يفكر في هجرتهم الأولى، لأنه كما سبق يطلب الحرية الدينية والسياسية للمسلمين، ولا يكتفى بالحرية الدينية التي يجدونها في الحبشة، ولا يجدون فيها الحرية السياسية، لأنهم كانوا في الحبشة يعيشون أيضًا في ظل حكم أجنبي، وكانت حريتهم الدينية مقيدة بعض التقييد، فلم يكن لهم حق الدعوة فيها إلي دينهم، ولم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليرضى لنفسه بمثل هذا التقييد، لأن شأنه فيه ليس كشأن أولئك المهاجرين.

ولم يزل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يطلب للمسلمين الحرية الدينية والسياسية، حتى وصل إلى هذا بالهجرة إلى المدينة، وكان أهلها قد بايعوه لربه أن يعبدوه وحده ولا يشركوا به شيئًا، ولنفسه أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم، وهنا وجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه إذا هاجر إلى المدينة سيهاجر إلى قوم دانوا بالإسلام، وسيكون هو رئيسهم الديني والسياسي، فتظهر بذلك الدولة الإسلامية، ويعيش بها المسلمون وهم يمتعون بالحرية الدينية والسياسية، لا يتحكم فيهم أجنبي، ولا يحاول فتنتهم في دينهم، فأمر المسلمين أن يهاجروا جميعًا إلى المدينة. فهاجر كثير منهم قبله اليها، وأشاعوا الإسلام بين أهلها، تمهيدًا لهجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم اليهم، ليجد الإسلام اذا هاجر قد غلب عليهم، فيكون

الحكم فيها للإسلام والمسلمين، وتكون الدولة الإسلامية الحرة التي كان يبغيها كل هذه المدة لهم، ولم يرض أن يهاجر للحبشة من أجلها، فلما تهيأ له هذا كله هاجر إلى المدينة، وتم له فيها ما أراده للمسلمين من الحرية الدينية والسياسية، ومن إنشاء الدولة التي يتمتعون فيها بهذه الحرية.

ولهذا اتخذ المسلمون هذه الهجرة مبدأ لتاريخهم السياسي، وآثروا حادثتها بهذا على غيرها من الحوادث الإسلامية الكبرى، لأن هذا التاريخ سياسي لا ديني، ولهذا لم يفكر المسلمون فيه إلا في خلافة عمر بن الخطاب، بعد أن تكاملت الدولة الإسلامية، واستقر أمرها بين المسلمين، واحتاجوا فيها إلى تاريخ سياسي يرجعون إليه في تعيين أزمان حوادثهم وأحكام دولتهم، وما يدخل فيها من أمورهم الدينية والسياسية، فلم يجدوا أنسب إلى هذا من هذه الحادثة التي تم فيها إنشاء الدولة الإسلامية، وظفر فيها المسلمون بنعمة الحرية، وهي أسمى نعمة في هذه الدنيا.

ولهذا كان للهجرة إلى المدينة شأنها في الإسلام، ولم يكن للهجرة إلى الحبشة مثل هذا الشأن، لأن المسلمين لم ينالوا بها شيئًا من الحرية السياسية، ولم ينالوا بها الحرية الدينية كاملة، وإنما نالوا الحريتين كاملتين بالهجرة إلى المدينة، فنزل فيها القرآن الكريم ينوه بشأنها، ويرغب فيها، ويعد بالأجر العظيم عليها، ومن هذا قوله في الآية ١٠٠ من سورة النساء: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي

الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ وكذلك قوله في الآية ١١٨ من سورة البقرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌرَّحِيمٌ﴾.

وقد جعل الإسلام لهذه الهجرة في ذلك الوقت منزلة تلى منزلة الإيمان بالله، فأوجبها حتمًا على جميع المسلمين في مكة وغيرها من البلاد العربية، ليتخلصوا بها من الحكم الأجنبي في بلاد الشرك، ويظفروا بحريتهم الدينية والسياسية في دولتهم الإسلامية الجديدة، ويساعدوا على تقويتها ونهوضها في وسط قوى الشرك التي تحيط بها من كل جانب، وكان مهاجروا الحبشة يدخلون في هذا الوجوب، ولكنه لم يكن وجوبًا على الفور كما كان على المسلمين في مكة والبلاد العربية، لأنهم كانوا في هجرة أيضًا، وكانت لهم ظروف تقتضى التساهل في شأنهم، وتوسع لهم في الهجرة إلى المدينة إلى أن تتهيأ لهم.

فهاجر جميع المسلمين من مكة إلا قليلا منهم، وكان من هذا القليل طائفة عجزت عن الهجرة إلى المدينة، من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، فبقوا في مكة يقاسون من حكمها الأجنبي ما كان يقاسيه إخوانهم المهاجرون، فأمر المسلمون في المدينة بالقتال في سبيل تخليصهم من ذلك الحكم الأجنبي الظالم،

وفـي هـذا يقـول الله تعـالى فـي الآيتـين ٧٤، ٧٥ مـن سـورة النسـاء: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِـي سَـبِيلِ اللهِ الَّـذِينَ يَشْـرُونَ الْحَيَـاةَ الـدُّنْيَا بِـالآخِرَةِ وَمَـن يُقَاتِلْ فِـي سَـبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ فَسَـوْفَ نُؤْتِيـهِ أَجْـرًا عَظِيمًـا ، وَمَـا لَـكُـمْ لاَ تُقَـاتِلُونَ فِـي سَـبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْـعَفِينَ مِـنَ الرِّجَـالِ وَالنِّسَـاء وَالْوِلْـدَانِ الَّـذِينَ يَقُولُـونَ رَبَّنَـا أَخْرِجْنَـا مِـنْ هَـذِهِ الْقَرْيَـةِ الظَّـالِمِ أَهْلُهَـا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ فقاتل المسلمون قريشًـا فـي سـبيل تخليص أولئك المستضـعفين حتـى خلّصـوهم مـن ذلك الحكم الأجنبي الظالم، وحتى استولوا أخيرًا على مكة ليقضوا على ذلك الفساد والظلم.

و كان من ذلك القليل الذي بقى بمكة طائفة أخرى لم تكن مستضعفة، ولكنها عزّ عليها أن تفارق وطنها وأهلها وأموالها، ولم تحتمل نفسها أن تكابد ألم الاغتراب عن الوطن، فرضيت بذل الاستعباد لذلك الحكم الأجنبي، وآثرته على عزّ الحرية في الوطن الإسلامي، وفي الدولة الإسلامية الجديدة، فلم يرض المسلمون عن بقاء هذه الطائفة بمكة، وقطعوا صلتهم السياسية بها، وعاملوها كما يعاملون أعداءهم من المشركين، لأن بقاءها في مكة كان فيه تكثير لعدد أعدائهم، وتقليل من عددهم، على أن أمرها لم يقف عند هذا الحد، بل تجاوز إلى مشاركتها لأعدائهم في قتالهم بإكراههم لها عليه أو بغيره من الوسائل، وقد خرج نفر منها في غزوة بدر مع المشركين فقتلوا فيها مع من قتل منهم، ونزل فيهم قوله تعالى

في الآية ٩٧ من سورة النساء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾ فاعتذروا للملائكة بأنهم كانوا عاجزين في أرض مكة، فرد الملائكة عليهم بأن أرض الله ـ يعنون أرض المدينة ـ كانت واسعة، فكان عليهم أن يهاجروا فيها ولا يبقوا بين المشركين، ليتحكموا فيهم ويخرجوهم إلى قتال اخوانهم، ثم استثنى في الآية التالية بعض من بقى في مكة فقال: ﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً، فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ .

وقد أسر بعض أولئك المسلمين الذين خرجوا في بدر مع المشركين، فأخذ منهم الفداء كما أخذ من المشركين الذين أسروا معهم، وفيهم نزل قوله تعالى في الآيتين ٧٠ ، ٧١ من سورة الأنفال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ االلّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْلَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌرَّحِيمٌ، وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ اللّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

وكان من أثر قطع الصلة السياسية بين من بقى في مكة من المسلمين ومن هاجر منهم إلى المدينة أن قطع التوارث بينهم، وجعل التوارث بالولاء بين المهاجرين والأنصار، فكانوا يتوارثون دون

أقربائهم وذوي أرحامهم، وكان مَنْ آمن ولم يهاجرلا يرث من قريبه المهاجر، إلى أن فتحت مكة وانقطعت الهجرة، فتوارثوا بالأرحام حيثما كانوا، وفي هذا نزل قوله تعالى في الآية ٧٢ من سورة الأنفال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَ إِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُإِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

والآية ظاهرة في أن اصل الايمان ثابت لأولئك الذين بقوا في مكة من المسلمين ولم يهاجروا، وكذلك الآية الواقعة بعدها: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ لأنها تفيد أن الذين آمنوا ولم يهاجروا مؤمنون أيضًا، ولم يكن إيمانهم حقًا (أي كاملا) ليوافق قوله في الآية السابقة: ﴿وَ إِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ لأنها أوجبت على المهاجرين نصرتهم إن استنصروهم في الدين، أي لأجل أنهم إخوانهم في الدين، وأما قوله تعالى في آية النساء السابقة: ﴿فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾ فهو لايدل على نفي الإيمان عنهم، كما لا يدل قوله قبل هذا في القاتل المتعمد من تلك السورة: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ بل هذه أشد للتصريح فيها بالخلود في جهنم، وهو يحتاج عند من يرى إيمان القاتل المتعمد إلى الحمل على

المكث الطويل، ليكون هناك فرق بين خلود المؤمن العاصي في جهنم، وخلود الكافر.

و كذلك قوله تعالى في الآيتين ٨٨ و٨٩ من سورة النساء: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ اللّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً{٨٨/٤} وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاء حَتَّىَ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتَّمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا﴾ على القول بأنهما نزلتا فيمن بقوا من المسلمين بمكة ولم يهاجروا، أو في قوم من قريش قدموا المدينة وأسلموا، ثم ندموا على ذلك فخرجوا كهيئة المتنزهين، فلما بعدوا عن المدينة كتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: انا على الذي فارقناك عليه من الإيمان، ولكنا اجتوبنا المدينة، واشتقنا إلى أرضنا ثم إنهم خرجوا في تجارة إلى الشام، فبلغ ذلك المسلمين، فقال بعضهم: نخرج إليهم ونقتلهم ونأخذ ما معهم، لأنهم رغبوا عن ديننا. وقالت طائفة منهم: كيف تقتلون قومًا على دينكم و إن لم يذروا ديارهم؟ وكان هذا بعين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو ساكت لا ينهى أحد الفريقين، فنزلت الآيتان في نهي الفريق الثاني عن الذب عنهم، وأمرالمؤمنين جميعًا أن يكونوا على منهاج واحد في مباينتهم، والتبرؤ منهم، ثم وصفهم بما يفيد نفاقهم وكفرهم، وقد أخذ بهذا جمهورالمفسرين، واني أرى أن هذا نفاق وكفرسياسيًا لا دينيًا، لأن هؤلاء الناس لا يصح تكفيرهم دينيًا ما داموا قد كتبوا إلى

النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنهم على الذي فارقوه عليه من الإيمان، وتركهم للهجرة إنما يقتضى عصيانهم لا كفرهم.

ولكن قد يقال: كيف يأمرالله تعالى بقتلهم والمنافقون لا يصح قتلهم، ولا قتالهم؟ وإذا كان الجهاد قد شرع أخيرًا معهم، فهو جهاد لا يصل إلى حد القتال ، وإنما يكون بالغلظة عليهم، وبالتشديد في أمرهم، ولا يصح مجاوزة هذا إلى قتلهم أو قتالهم.

والجواب: أن هذا كان خاصًا بمنافقي المدينة، لأنهم كانوا من رعايا الدولة الإسلامية، ولا يصح لدولة أن تقاتل رعاياها فيما يتعلق بعقائدهم ما داموا مسالمين لها، أما منافقوا مكة فكانوا رعايا حكم أجنبي، فيجب أن يعطوا حكم رعاياه من المشركين، لأنهم كانوا يكثرون سوادهم، ويمالئونهم على المسلمين إلى حد القتال معهم.

ويجب أن ننبه بعد هذا كله إلى أن أولئك المسلمين الذين أوخذوا بإيثارهم للحكم الأجنبي على الحكم الإسلامي، لأنه كان محاربًا للدولة الإسلامية الشرعية، فيجب أن يفرق بينه وبين حكم أجنبي مسالم لهذه الدولة، ويجب أن يفهم أن الهجرة إلى المدينة إنما كانت واجبة على المسلمين الموجودين بذلك الحكم الأجنبي المحارب في مكة أو غيرها، بخلاف الموجودين منهم في الحكم الأجنبي المسالم، ولهذا استثناهم الله بعد الآيتين السابقتين في سورة النساء، فقال: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىَ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ...﴾ فهؤلاء لا مؤاخذة عليهم، لأن الإسلام لا يصيبه ضرر منهم.

نظرة أخرى في السيرة

العدوان الأمريكي الصهيوني على حرمة رسول الله(ص) حفّزت مرة أخرى أذهاننا إلى استعراض سيرة رسول الله ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ وحياته الكريمة الحافلة بأحداث الهدم والبناء، فوجدنا فيها الطاقة المحركة العظمى التي كانت وراء كلّ ما سجله التاريخ الإسلامي من صفحات بيضاء. كانت وراء كلّ ثورة على الظلم والفساد، ووراء كلّ حركة تدعو إلى العدل والمساواة، وخلف كلّ روح وثابة لطلب العلم، أو تيار إصلاحي يدعو لتطهير النفس والسير إلى الله. إنها تشكل ـ باعتبارها التجسيد العملي للقرآن ـ الزخم الذي دفع مسيرة الحضارة الإسلاميّة نحو كلّ ما تجلى فيها من قيم إنسانية سامية.

والصحوة التي يشهدها عالمنا الإسلامي اليوم هي قبس ذلك النور النبوي، فروادها ينهجون سيرة المصطفى في السعي لبناء أمة عزيزة كريمة تنهض بدور رائد على ساحة التاريخ، وتحكّم شرع الله في كلّ شؤون حياتها لا تأخذها في الله لومة لائمٍ وتأخذ بأسباب القوة الاقتصادية والعلمية والعسكرية كي تكون مرهوبة الجانب، وتوحد صفوفها وتعبئ طاقاتها كي لا تفشل في مواجهة التحديات ولا تذهب ريحها.

ولكن ـ ونحن نقف أمام هذه السيرة موقف إجلالٍ واعجاب ـ يجب أنّ لا يفوتنا ماران على السيرة من سلبيات الماضي. هذه السلبيات التي تراكمت فجعلت من نظرة بعضنا إلى الإسلام فجة ضيقة لا حركة فيها ولا حياة. وهذه النظرة الضيقة ـ إضافة إلى ما تفعله في مسخ السيرة ـ تعمل على إثارة الفرقة والنزاع بين المسلمين.

ولو تطلعنا إلى ما حولنا لرأينا هناك من يستفتي السيرة في حركة الإصبع عند الصلاة، ذاك يقول: إنها دائرية، ويرى آخر أنها عمودية، ويقع بين أتباع الرأيين نزاع تنتهك فيه الحرمات، وتتقطع وشائج الأخوة والصلات.

ورأينا من يستفتي السيرة في بناء القبور، ومقدار ارتفاعها، ويقع الخلاف بشأنها إلى حد التكفير.

و إن تعجب فعجب هذا الذي تراه في صفحات الفتاوى وأعمدتها؛ معظمها يحاول أنّ يجد في السيرة أجوبةً ترتبط بزيارة قبور الموتى والمسائل الفرعية في الصوم والصلاة، والموضوعات الهامشية في الإرث والزواج والطلاق.

إنّ علماء المسلمين يتحملون اليوم مسؤولية استطلاع السيرة في جوانبها الحياتية أيضًا. في حقل الدعوة وأساليبها ومراحلها. في مجال بناء المجتمع الصالح والدولة الصالحة. في طريقة التعامل مع المستجدات العالمية ومع الأمم الأجنبية.

عليهم أنّ يستفتوا السيرة في أسلوب تصعيد روح الجهاد لدى

الأمة، و إعداد المجاهدين، والدفاع عن المستضعفين والمحرومين، ودك حصون الظالمين والمستكبرين.

علينا أنّ نقرأ ما في السيرة من مواقف توجب على كلّ مسلم وجوبًا عينيًا أنّ يعمل لوحدة الصف، وتأليف القلوب، ونبذ الفرقة ووحدة الكلمة.

لا بد أنّ يتطرق إعلامنا الإسلامي إلى ما وكدته السيرة بشأن كرامة الإنسان، وعزة المسلم، وقوة المجتمع الإسلامي ومَنَعته، ودوره الشاهد على ساحة التاريخ.

أليس في السيرة ما يتبين لنا رأي الإسلام في المجال الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ويرسم لنا الموقف المبدئي في كلّ المجالات الحياتية؟!

حياة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ بدأت من بناء الفرد، وانتهت بإقامة مجتمع إسلامي يحمل مسؤوليات: بسط العدل، ونشر التحرر، وحمل العلم، وتبديد الظلام في كلّ أرجاء العالم. إنها مسيرة متكاملة الدروس في جميع مرافق الحياة. فلماذا نستفتيها فقط في الجوانب الهامشية التي لا تمس صميم الحياة؟

السبب يعود إلى الوضع المؤلم الذي يعيشه عالمنا الإسلامي. "فالإناء ينضح بما فيه". والإسلام في جميع أصقاعنا الإسلاميّة يعيش بمعزل عن الحياة، ومن علماء الإسلام من قُدّر لهم أنّ لا يعالجوا أمرًا من الأمور التي ترتبط بمقدرات المسلمين، بل عليهم أنّ يكونوا هامشيين

ويعالجون المسائل الهامشية. ولذلك يتناولون السيرة في إطار ما أوكلت إليهم من مسؤولية.

وهذا التعامل مع السيرة يثير ـ دون شك ـ الاختلاف والفرقة، ويثير الإحن والحزازات؛ لأنه إطار ضيق صغير تكبر فيه الخلافات وتأخذ حجمًا هائلًا، حتّى يخيل لهؤلاء الصغار أنّ هذه الخلافات تشكل حدًا فاصلًا بين الإسلام والكفر، فيتراشقون الفتاوى بالكفر والشرك و إهدار الدم. كما قال الشاعر المتنبي:

وتكبر في عين الصغير صغارها

وتصغر في عين العظيم العظائم

إنّ نظرة هؤلاء إلى السيرة ـ غالبًا ـ نظرة إنسان صغير ضيق الأفق، فإذا وجد حركة إصبع مسلم آخر في الصلاة خلافًا لما عرفه في السيرة كبرت المسألة في ذهنه، وتحولت إلى حاجز نفسي يفصل بينه وبين ذلك الأخ المسلم. و إن رأى مسلمًا يزور القبور خلافًا لما سمعه أو قرأه في السيرة تصور أنّ بينه وبين ذلك المسلم بُعد المسافة بين الإسلام والشرك.

هذه هي النظرة الصغيرة للسيرة. إنها ـ دون شك ـ نظرة ناقصة مشوهة، تجر إلى تمزيق المسلمين وتشتيتهم، و إماتة الروح والحياة في نفوسهم.

والمطلوب: هو الانفتاح على السيرة الكريمة بمعناها الواسع الحركي العملي، عندئذٍ ستلتقي وجهات النظر، وتتوحد الأصوات

والخطى كما التقت من قبل أصوات وخطى رجال كبارفي عالمنا الإسلامي المعاصرمن مختلف المذاهب الإسلاميّة ، وكما تلتقي اليوم هذه الأصوات والخطى في إطارالصحوة الإسلاميّة المباركة.

فلنحوّل كلّ تحرك لإحياء سيرة رسول الله(ص) إلى مؤتمرات تتناول السيرة روحًا وفكرًا وعملًا في إطارها المتحرك الواسع. لنتعلم منها كيف نهدم العوامل السلبية، وكيف نبني وجودنا كما أراده الله تعالى، وكيف نتحرك نحو هدفنا التكاملي. فلنا في سيرته عليه أفضل الصلاة والسلام أسوة حسنة.

إنّ هذه الجريمة النكراء حلقة من سلسلة الجرائم الكبرى التي يرتكبها بين حين وآخردعاة الحضارة الغربيّة الزائفة، ومن ورائهم الساسة الأمريكيون الذين كشفوا عن نواياهم في الأمس القريب بما أعلنوه من الحرب الصليبيّة على الإسلام والمسلمين.

إن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ليستنكر بشدّة هذه الجريمة الوقحة، وينذرمرتكبيها بما سوف ينتظرهم من الردّ القاسي من قِبَل جميع أتباع الديانات السماوية المؤمنة بالله وشرايع السماء، وخاصة جماهير المسلمين في مختلف بقاع الأرض.

من بيان المجمع بمناسبة جريمة الفلم المسيء

الموقف من البدعة

بين السلب والإيجاب

الالتزام بالقرآن والسنة أعظم ميزة تختص بها الجماعة المسلمة. وهذه الميزة توحد الأمة في الفكر، والعاطفة، والروابط، والمسير، والهدف، وتحول دون أن تتلاعب بها الأهواء وتعصف بها التيارات وتفتك بها عوامل التفرقة والشتات.

ومن الواضح جدًا أنّ الأمة الإسلامية كانت موحدة بقدرما كانت ملتزمة بالقرآن والسنة، ثم دب فيها الشقاق واتسع باتساع دخول "البدع" فيها.

الكفروالإلحاد والزندقة لا تمزق الأمة كما تمزقها البدعة. لأن الأمة تقف جميعها صفًا واحدًا أمام الكفرة والملحدين والزنادقة، غير أنها إزاء البدعة. .وهي الانحراف المتقمص لباس الدين .تنقسم على فريقين: فريق واع متفهم لدينه يميزالحق من الباطل، فينكر البدعة، وفريق لم يبلغ مستوى التمييزوالتمحيص، فيتجه مدفوعًا بعاطفة سطحية أو بذاتية ضيقة إلى الانحراف العشوائي وراء المبتدعين، وقد يبلغ به التعصب لها حد تقديم النفس والنفيس.

وبرزت البدع في تاريخ الإسلام من يوم أنّ أجازت السلطة الحاكمة لنفسها أنّ تشرع خلاف نصوص القرآن والسنة، فدخلت

في المجتمع الإسلامي بدعة التمييز الطبقي

والتمييز العنصري، وبدعة السكوت أمام التسلط الفرعوني، ومن يوم أنّ ولي أمر الأمة ولاة من سفهائها وفجارها، فاتخذوا مال الله دولًا، وعبادة خولًا، والصالحين حربًا، والفاسقين حزبًا [1].

لقد ظهر على مر التاريخ دعاة وقفوا بوجه البدع وحاربوها، واسترخصوا كلّ نفيس من أجل إعلان زيفها، وقدموا دمهم ي سبيل مكافحتها، وفي سبيل إعلان حكم الله صريحًا واضحًا بشأنها.

ومرت علينا قبل أيام ذكرى "عاشوراء" الحسين بن علي سبط رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـ التي سجلت أعظم موقف إسلامي ملتزم في مكافحة بدع العصر الأموي، السياسية منها والاقتصادية والفكرية والعقائدية.

وهذه الذكرى ـو إن اتخذت طابعًا مذهبيًا ـمع الأسف ـهي في الواقع حدث هام يجب أنّ يعتزبها كلّ مسلم غيورعلى أمته و إسلامه، لأن صاحبها لم يكن يمثل طائفة خاصة من المسلمين، بل كان يعبرعن آمال كلّ المسلمين الّذين يستهدفون العودة إلى إسلام رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام دون أنّ تشوبه بدعة المبتدعين وانحراف المنحرفين.

مَنْ من المسلمين اليوم لا يعرف مكانة الحسين ـعليه السلام ـ ولا يجل الأهداف التي أعلنها، ولا يقف موقف إعظام وخشوع أمام

١- انظرإلى رسالة أميرالمؤمنين الإمام علي بن أبي طالب ـعليه السلام ـ إلى مالك الأشتر لما ولاه مصر، نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح: الرسالة ٦٢: ٤٥٢.

جسامة التضحية التي قدمها؟.

مَنْ من المسلمين اليوم لا يعرف فضل الحسين على الأمة بما بذله في سبيل إحياء روح العزة والكرامة والمقاومة والأصلة والالتزام ورفض البدع فيها ؟. فلماذا إذن تبقى ذكرى "عاشوراء" محدودة في إطار مذهبي معين ؟ لماذا لا تتسع لتشمل كلّ من يعرفون الحسين مكانته وأهدافه وتضحياته، وآثار ثورته في مسيرة الحياة الإسلاميّة؟ !

وثورة الحسين إنّ استطاعت أنّ ترسم الطريق أمام كلّ المصلحين تجاه المبتدعين،

فهي لم تستطع -في ظل غياب الوعي الإسلامي و إقصاء القيادة المبدئية للأمة -أنّ تضع حدًا لظهور البدع، فاستمرت الانحرافات بأشكال شتى، واستمرت أيضًا الثورات لتصحيح المسار على يد الّذين دخلت ثورة الحسين -عليه السلام - في وجدانهم وترسخت في نفوسهم وعواطفهم.

ما أردنا في هذا المقال أنّ نقف عند ثورة الحسين رائدة مكافحة البدع في التاريخ، لأنها أشهر من أنّ نتحدث عنها، وأعظم من أنّ نخصص مقالًا لها، بل أردنا أنّ نلمح إلى موقف عظيم آخر اتخذه سليل الحسين العبد الصالح الإمام الحسيني السيد علي الخامنئي لنفض ماران على ذكرى الحسين -عليه السلام - من بدع هي أبعد ما تكون عن روح الإسلام وروح أهداف عاشوراء.

لقد اهتم الحريصون على "حياة" الأمة بإبقاء ذكرى الحسين -

عليه السلام ."حية" في النفوس، ووضعوا لنا "منهاج إحياء الذكرى" في إطارملتزم محافظ على تعاليم الإسلام ومبادئه. وعلى مرالزمن . وفي ظل غياب الوعي و إقصاء القيادة المبدئية .طال منهاج الإحياء هذا ما طال سائرأمورالدين من بدع وانحراف وظهرفيه ما يسيء إلى عظمة الذكرى ورساليتها. وظهربين الفينة والأخرى من تصدى لهذه البدع، لكن الموقف الغالب منها كان السكوت خوفًا من رد فعل العامة والغوغاء، كما كان هناك من يشجع هذه البدع والخرافات ليعيش على دفئها كما يعيش المشعوذون على دف جهل الناس وهبوط مستوى تفكيرهم.

الانتصارالإسلامي الكبيرفي إيران نسف أخطربدع كانت تسود الذهنية الإسلاميّة، تدورحول استحالة إقامة دولة الإسلام، وحول انفصال الدين عن السياسة، وحول عدم إمكان الانتصار على الطاغوت العالمي المستفحل، وبعد انهيارهذه البدع الكبرى كان لابد من الالتفات إلى البدع الأخرى الموروثة من عهود الانحطاط وضعف الصوت الإسلامي الملتزم. ومع أنّ حياة الغمام الراحل السيد آية الله العظمى الخميني رضي الله عنه وأرضاه كانت مليئة بعد الانتصارالإسلامي بمهام إقامة الدولة، وتثبيت الأسس والمفاهيم، ومواجهة الحرب الطولية الظالمة، لكنه لم يترك فرصة دون أنّ يعلن

استنكاره لظاهرة انحرافية أو لبدعة يراها في المجتمع ويقدم توجيهه اللازم بشأنها.

واصل هذا الطريق خلفه بجد ونشاط خاصة مع ازدياد موجة الحركة الثقافية والاجتماعية الدينية بسبب توقف الحرب.

ويأتي موقف السيد ولي أمرالمسلمين .سدد الله خطاه .من بعض البدع في إحياء ذكرى الحسين .عليه السلام .أيام شهرمحرم، ليسجل صفحة تاريخية بيضاء ناصعة من صفحات تاريخ آل محمّد صلوات الله عليهم أجمعين في إحياء السنة و إماتة البدعة.

صحيح أنّ حادثة عاشوراء بكل ما أحاط بها من مأساة لم يعرف التاريخ لها نظيرًا، تدمي القلب، وتحزفي النفس وتثيرعاطفة وهياجًا في وجدان من يحب رسول الله وآل بيته. لكن إحياء هذه الذكرى في العواطف يجب أنّ يكون في حدود ما أقرته السنة، وكل خروج عن ذلك فهو بدعة تشوه الوجه الناصع للإسلام، وتفتح المجال للجهلة والمغرضين أنّ يعبثوا كيفما شاؤوا في شعائرالعزاء الحسيني، ويأتوا كلّ يوم بطامة جديدة.

وهذا ما حدث بالفعل حين عمد نفرإلى إشاعة إدماء الرأس والجسم يوم العاشرمن محرم، تحت عنوان المشاركة العاطفية مع دماء العترة الطاهرة التي أريقت في كربلاء.

ومهما يكن الدافع في هذا العمل نزيهًا فإنه خروج على السنة و"أشبه شيء بالخرافة"[1]. ولا يقره الإسلام.

وواضح أنّ اتخاذ موقف تجاه هذه الظاهرة وأمثالها يصطدم

١- نفس تعبيرالسيد ولي أمرالمسلمين. .

بعواطف أولئك الّذين يقدسون هذه العادات، ويجعلون منها وسيلة قربة إلى الله سبحانه وتعالى، ووسيلة انشداد بآل رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام.

ولكن العالم الملتزم يجب أنّ يظهرعلمه تجاه البدعة رغم لوم اللائمين. وهذه بعض العبارات التاريخية الخالدة من خطاب السيد ولي أمرالمسلمين في هذا المجال باختصارشديد:

ـ"الخطابة (في مجالس العزاء الحسيني) يجب أنّ تدورحول ثلاثة محاور:

تعميق العاطفة تجاه الحسين بن علي .عليه السلام . وآل بيت رسول الله عليهم صلاة الله. و إعطاء صورة واضحة للمستمع عن حادثة عاشوراء. وبث الوعي الديني والعمق الإيماني تجاه المعارف الدينية يجب أنّ نحذرتمامًا من أي فعل يبعد مجلس العزاء الحسيني عن فلسفته الواقعية.

.(إدماء الرأس) ليس من الدين: إنّ الله لا يرضى عنه دون شك. وعلماء السلف كانوا مكتوفي الأيدي وغيرقادرين أنّ يقولوا شيئًا (تجاه هذه البدع)، أما اليوم فهو يوم حاكمية الإسلام وسطوع نجم الإسلام، فلا يجوزأنّ يشوب مجتمعنا الإسلامي السامي. ما يظهره بمظهرخرافي غيرمنطقي.

.أنا واثق أنّ هناك من سيعلق على كلامي هذا، تحدوه عاطفة نبيلة قائلًا: حبذا لو أنّ فلانًا لم يتحدث عن هذا الموضوع الآن ! كلا ! لابد أنّ أقول كلمتي، لابد أنّ أقول كلمتي. أنا مسؤول أكثرمن

الآخرين. أنتم أيها السادة يجب أنّ تقولوا أيضًا كلمتكم.

ـ هذا خطر كبيرفي عالم الدين والمعارف الدينية، حماة حدود العقيدة يجب أنّ يلتفتوا إلى ذلك.

ـ"المرحوم آية الله العظمى السيد البروجردي هذا العالم الكبير، والمجتهد القوي العميق المتفتح نهى ـ كما نقل ـ عن تقبيل عتبة (مراقد أئمة اله البيت) مع أنّ هذا العمل قد لا يخلو من استحباب وذلك لكي لا يوحي هذا العمل أننا نسجد لقبورأئمتنا.، فمن الذي يشيع اليوم العادات الخاطئة بين الناس (في طريقة زيارة قبورالأئمة) ؟! أخشى أنّ يكون (ترويج هذه الظواهرالانحرافية) من عمل الأعداء!".

وأمام هذا الموقف التاريخي الشجاع يتحمل الإسلاميون مسؤولية كبرى.

مسؤولية إشاعة الوعي الإسلامي العميق لتجفيف منابع مظاهر الانحراف والبدع.

ولنا في الخاتمة حديث مع كلّ المصلحين العاملين على مكافحة البدع في عالمنا الإسلامي.

مكافحة البدع يمكن أنّ تجمع الأمة ويمكن أنّ تفرقها وتزيد في تمزقها:

تجمعها إنّ كانت محاربة البدع تنطلق من فهم واع حضاري عميق لمفهوم البدعة، وكانت مصحوبة بعملية توعية شاملة على الإسلام بكل جوانبه وأبعاده الواسعة، كما يحدث اليوم في ظل دولة الإسلام المباركة.

وتفرقها وتمزقها إنّ كانت تفهم البدعة فهمًا ضيقًا متخلفًا لأنه ـ بموجب هذا الفهم ـ ستكون العلوم الفلسفية والكلامية التي هي حصيلة الدراسات العقائدية لعلماء الإسلام، وسلاح الدعاة لمواجهة الأفكار الهدامة. ستكون بدعة لأنها لم تكن في زمن الصحابة والتابعين !!، وستكون المؤتمرات والندوات والاحتفالات التي تقام لإحياء ذكرى رموز الإسلام في مواليدهم ووفياتهم بدعة !!، وسيكون الاهتمام بمراقد هؤلاء الرموز وزيارتها لاستلهام معطيات حياتهم الجهادية والفكرية بدعة أيضًا!!.

ولقد شهدت القرون الأخيرة مثل هذه التيارات لمكافحة البدعة أضرت ـ مع الأسف ـ أكثر مما نفعت، ومزقت الأمة أكثر مما جمعتها على القرآن والسنة.

وتفرقها أيضًا إنّ لم يصحبها وعي كامل بالإسلام في جميع أبعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعقائدية. لأن الجاهل بلب الإسلام سيتشبث بالقشور ويتعصب لها وينازع من أجلها، وتأتي النتيجة عندئذ خلاف ما يتوقعه الداعية في تجميع الأمة على هدى القرآن والسنة.

فلتتحد كلّ خطى العاملين على مكافحة البدع في أمتنا الإسلاميّة على هدي من القرآن والسنة وفهم حضاري عميق للإسلام، وليكن أسلوبهم الحكمة والموعظة الحسنة (وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) [1].

١- التوبة/ ١٠٥.

فهم السلفية
بين السلب والإيجاب

"السلفية" كما يتضح من مدلولها اللغوي عودة إلى ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة المتقين والتابعين لهم بإحسان، ورفض كلّ البدع التي استحدثت على مرّالعصورفي الدين.

إنها إذن الالتزام بالدين من مصادره النقيّة الصافية والابتعاد عن كلّ ما طرأ عليه من شوائب غريبة عليه.

ولا يصحّ إسلام مسلم مالم يؤمن بمثل هذه السلفية، بل ويمكن أن تكون هذه السلفية معيارًا لمدى صحة واستقامة وسلامة كلّ دعوة وحركة ونهضة ترفع شعارالإسلام.

ليس إيماننا بهذا يقوم على أساس تقريرالقرآن فحسب، بل إنّ الواقع العالمي المشهود يقدّم لنا بالأرقام الهائلة مدى فداحة الخسارة التي منيت بها البشرية جرّاء ابتعادها عن منهج دين الفطرة.

بهذا المنطق القويم يجب أن نعلن للبشرية بأننا سلفيون، وأن لا سبيل إلى التخلص من المآزق والمآسي القائمة إلاّ بترك كلّ بدع الانحراف عن منهج هذا الدين.

هذه العودة في الواقع لا تعني إدارة عقارب الزمن إلى الوراء، بل تعني الانفتاح على حقيقة قائمة حيّة من حقائق الوجود، وهي حقيقة ثبات متطلبات الفطرة الإنسانية والإسلام دين الفطرة، وكل خروج

عـن هـذه الفطـرة إنمـا هـو خـروج عـن حقيقـة قائمـة فـي الـنفس الإنسانية، وكل إهمال لهذه الفطرة إنما هو إهمال لحسابات دقيقة ركبت منها نفس الكائن البشري كما ركبت أجهزته العصبية والدموية والهضمية.

سنن التشريع إذن مثل سنن الكون الثابتة، وكل ابتداع في هذه السنن إنما هو سباحة خلاف الاتجاه الطبيعي لتيار الماء فيه "الضنك" و"الإرهاق" و"النكد" و"سوء العذاب".

أردنا بهذه المقدمة أن نفرّق بين المعنى الحقيقي المفهوم من كلمة السلفية وهذا المعنى الاصطلاحي الذي يطلق على تيار من أبناء العالم الإسلامي.

تميّز هذا التيار بقراءة جامدة لنصوص الدين تنأى عن التعقّل والاجتهاد، ولذلك ابتلى بسطحية شديدة، كما اتجه إلى رفض كلّ الجهود العلمية الجبارة التي أثمرت عنها دوحة الإسلام على مرّ العصور بحجّة أن السلف الصالح لم يشتغلوا بها، وهذا ما يركّز السطحية والسذاجة أيضًا في فهم الدين والدعوة إليه.

ثم إنّ هذه الطريقة في فهم الإسلام انسحبت على قراءة أحداث الماضي والحاضر والمستقبل. فقد انشدّت نظرة السلفيين بالماضي، وبقيت في الماضي، ورأت أن الرسالة الخاتمة طوت عصرها الذهبي في قرنها الأول، ثم انحدرت، وليس بالإمكان أفضل مما كان!!

وبالنسبة للحاضر ليس هناك اهتمام بينهم على المستوى المطلوب بما يحيط الإسلام من تحديات فكرية وحضارية، وعدم الاهتمام هذا يتجلّى في لغة خطابهم ومحتواه، فإنها لم ترتفع إلى مستوى هذه التحديات، ولم تدخل ساحة الفكر العالمي المعاصر لتقول كلمة الإسلام فيها، كما يتجلّى أيضًا في عدم السعي لتقديم المشروع الإسلامي المتكامل للحياة المعاصرة، وأكثر من كلّ ذلك يتجلى في الانشغال بالخلافات الفقهية الصغيرة أو بالخلافات التاريخية المذهبية الموروثة مما يدلّ بوضوح على عدم استيعاب لمسؤوليات الرسالة الإلهية الخاتمة على الساحة العالمية الراهنة.

و إذا كان الحاضر مهملاً في اهتمامات هؤلاء الإخوة فالمستقبل يكاد يكون ملغيًا. وأودّ أن أنصف إخواننا السلفيين وأقول إنّ عدم الاهتمام بمستقبل الإسلام لا يقتصر على التيار السلفي بل إنّ عامة الإسلاميين مبتلون به بدرجة وأخرى. لم نسمع بمؤتمر يستشرف مستقبل الإسلام والعالم الإسلامي. وقلّ أن نجد مفكرًا إسلاميا يتعرّض لهذه القضية.

مجموع الخصائص المذكورة للتيار السلفي جعلته في كثير من الأحيان يقف موقفًا معارضًا لدعاة "التقريب".

منطق دعاة التقريب يتجه إلى التعالي على الخلافات الفقيهة الصغيرة وعدم الخوض في النزاعات التاريخية الموروثة والاهتمام بما تتطلبه الرسالة الخاتمة على الصعيد العالمي، وهو منطق لا ينسجم مع

التوجه السلفي العاكف على قراءة جامدة لنصوص الدين.

وهنا لابد من التأكيد على أن الطيف السلفي يضمّ فصائل ارتفع بعضها إلى مستوى المسؤولية فكان من دعاة التقريب بين المذاهب الإسلاميّة ومن دعاة الوحدة بين جميع المسلمين ولكن العقدين الأخيرين شهدا أيضًا مع الآسف مواقف سلفية تتعارض تمامًا مع توجّه التقريب . بل شاهدنا من يستغلّ هذه المواقف لمصلحة سياسية تستهدف تفريق المسلمين.

ما أردنا بهذه السطور أن نقرع آذان إخواننا السلفيين باللوم، بل أن نتوجّه إليهم بالدعوة إلى حوار بناء يشتمل على تفهم أبعاد الرسالة الخاتمة ومسؤوليات الإنسان المسلم الراهنة لنخرج منه بأسس عملية للتعاون فيما اتفقنا عليه وهو في اعتقادنا كثير، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه، وهو بالنسبة للمشتركات قليل. وعلى الله قصد السبيل.

إنّ عدم الاهتمام بمستقبل الإسلام لا يقتصر على التيار السلفي بل إنّ عامة الإسلاميين مبتلون به بدرجة وأخرى. لم نسمع بمؤتمر يستشرف مستقبل الإسلام والعالم الإسلامي. وقلّ أن نجد مفكرًا إسلاميا يتعرّض لهذه القضية.

المجتمع الإسلامي المعاصر
بين العزة والذلة

«العزّة» أصل إسلامي هام، لا يمكن أن يتخلى عنه الفرد المسلم ولا الجماعة المسلمة.

فالله فوض إلى المؤمن أمره كلّه ولم يفوّض إليه أن يكون ذليلا.

والمجتمع المسلم يجب أن يكون عزيزًا مرهوب الجانب. وتعاليم الإسلام التربوية والاقتصادية والسياسية والحكومية والاجتماعية والعسكرية تتجه بأجمعها نحو تحقيق عزّة المسلمين و إبعادهم عن الذل.

كل ما شهده المجتمع الإسلامي في تاريخه من حركة جهادية وعلمية وفكرية وفنية وتطور أصيل في حقل الهدم والبناء والمعرفة إنّما كان وراءه هذا الإحساس بالعزّة.

وأكثر ما شهده المجتمع الإسلامي من نكسات وانحرافات وفتن واضطرابات يعود إلى غياب العزّة الإسلاميّة وظهور حالة الذل في تاريخه.

لا نريد أن نتحدث عن حالة الذل في تاريخ المسلمين الماضي، بل عن هذه الحالة في تاريخهم الحديث. فلقد تجمعت عوامل عديدة خلقت في قطاعات واسعة منهم حالة الذل، وجعلتهم لا يستشعرون

بعـزة هـويتهم الإسـلاميّة، ولا بكـرامتهم وشخصـيتهم كأمـة ذات محتوى حضاري.

وحالة الذل هذه لها أخطارها، لأنها ـ إن لم تتحوّل إلى عـزة بالله ـ تدفع بصاحبها إلى أن يبحث عن عـزّة سرابية يحسبها الظمآن ماء. يتجه نحو ذوي القوة والسلطان يبتغي عندهم العزة، فيتحول إلى آلة طيّعة بأيديهم. أو يحاول أن يجد شخصيته المفقودة في الأعمال الشاذة والمواقف المنحرفة فيصبح طعمة لذوي الأهداف التخريبية الهدامة.

كثير من التيارات المنحرفة استفحلت في المجتمعات الإسلاميّة بعد أن ضمّت جماعات أذلتها الظروف، وحطمت شخصيتها، فراحت تجد تلك الشخصية المفقودة في هذه الانتماءات المنحرفة.

وكثير من النزاعات الطائفية شهدها التاريخ الإسلامي دون أن يعلم المتنازعون سببًا فكريًا أو فقهيًا لهذه النزاعات، بل إنّ من يسمونهم بالغوغاء والعامة والسوقة دخلوا أتون هذه النزاعات ليثبتوا شخصيتهم المنتمية، بعد أن فقدوا شخصيتهم الرسالية وانتماءهم الرسالي.

هذه الفتاوى التي تصدر بين حين وآخر مكرّسة حالة الهزيمة والاستسلام، وهذه التيارات التي تنطلق مما يسمى بالحداثة فتتنكر للأصالة والتراث وتدعو بصراحة إلى تقليد الغرب. هي كلها ناتجة عن حالة الذل الكامنة في النفوس.

ولقد أدرك المصلحون الإسلاميون هذه الحقيقة حين راحوا يرفعون أول ما يرفعون شعار استعلاء الإيمان. واستعادة الهوية. والاعتزاز بالتراث، والاستهانة بالغرب وبريقه.

لا يمكن للأمة الإسلاميّة ـ بخصائصها التي شاءها لها الله سبحانه ـ أن تعود إلى ظهر الأرض إلاّ إذا سرت روح العزة في أشلائها. «العزّة» بالله وبالإسلام وبالهوية المتميزة للأمّة.

وبقاء حالة الذل يعني المزيد من التمزق والتشتت والصراع والهزيمة والتبعية.

أعداء المسلمين يتحيّنون كل فرصة ليكرسوا عزتهم بالغزو العسكري والثقافي والإعلامي. ويتحينون كل فرصة ليكرسوا ذل المسلمين بالاستهانة العلنية بكراماتهم ومقدساتهم وآخرها وليس بأخيرها اجريمة الصهيونية الأمريكية في الاعتداء على حرمة رسول الله(ص).

وأمام هذا الصراع الحضاري نتحمل جميعًا مسؤولية استثمار كل ما منحه الله للأمّة المسلمة من طاقات بشرية واقتصادية ومكانة جغرافية ومنهج قويم في الحياة وفرص للاجتماعات من أجل غرس روح العزّة في النفوس، ومواجهة عملية الإذلال. عندئذ فقط سنجد أنفسنا قد ارتفعنا من الحالة «الطائفية» الضيقة إلى الساحة «الرسالية» الرحبة والواسعة. وعسى أن يكون ذلك بأذن الله قريبا.

الفتوى التاريخية

«لا يجوز تكفير أي فئة من المسلمين تؤمن بالله سبحانه وتعالى وبرسوله (ص) واركان الايمان، وتحترم اركان الإسلام، ولا تنكر معلومًا من الدين بالضرورة».

بهذه الكلمات الواضحة والفتوى الصريحة الداعية إلى حقن دماء المسلمين واحترامهم خرج المؤتمر الإسلامي الدولي الذي عقد في عمان في «٢٧-٢٩ جمادى الاولى ١٤٢٦هـ»، وهي الفتوى التي أيدها مجمع علماء الإسلام، سنة وشيعة، ولاقت تعاطفًا من المسلمين كافة.

ولابد من وقفة لنا عند أمور حياتية نستكشفها من الفتوى التأريخية الصادرة والتي دعت العلماء إلى إصدارها.

١ـ ان مايجمع المذاهب المعروفة «الحنفية – المالكية – الشافعية – الحنبلية – الجعفرية – الزيدية – الاباضية – الظاهرية» أكثر بكثير مما بينها من الاختلاف؛ لأن الكل يؤمن بالله والقرآن والنبي محمد (ص)، والأركان الخمسة، فكل من يتبع هذه المذاهب مسلم، لا يجوز تكفيره، ويحرم عرضه ودمه وماله.

٢- ان يتصدى البعض للإفتاء دون مؤهلات شخصية، يحددها كل مذهب، وبلا تقيّد، بالمنهجية المذهبية المعنية، يوجب استحداث مذهب جديد غير معترف به؛ خصوصًا عندما يصدر هذا البعض

فتاوى مرفوضة يخرج المسلمين عن قواعد الشريعة وثوابتها، وما استقرمن مذاهبها.

٣- المشروع الحياتي المؤسس لعزة الاجتماع الإسلامي هو الوحدة. ومن المرفوض كل مايعارض تعزيزتضامن الشعوب الإسلامية ودولها ويؤدي إلى ضعف روابط الأخوة الإسلامية والتحاب في الله، ومما لا شك فيه أن الفتاوى التكفيرية لا ثمرة فيها سوى تقوية روح العداوة والبغضاء بين أبناء الأمة الإسلامية.

٤- إن قتل الأبرياء العزل من أبناء الأمة الإسلامية تحت عنوان الجهاد في سبيل الله و إطاعة لأمررسوله، يعد تحريفًا لأقدس فريضة سماوية شرّعت للدفاع عن حقوق المسلمين عامة، وحقن دمائهم، وأقيمت لتقوية شوكة الإسلام والمسلمين وحماية المستضعفين، وهذا التحريف استوجب الاساءة إلى صورة الإسلام على أيدي عناصرتجهل الإسلام حقيقة ومفهومًا، أمام الآخرين من أبناء الديانات السماوية والإنسانية.

٥- بات من الواضح ايضًا أن الوقوف أمام التحركات المسلحة التكفيرية لا يتحقق بواسطة الدول والحكومات فقط، بل هو فرض على جميع المسلمين علماء ومفكرين أن يقفوا بوجهه بكل قوة ؛ فنحن بحاجة إلى جهاد عام في مجال الفكروالتوعية العامة دفاعًا عن الإسلام، الذي أخذ يكتسح قلوب الإنسانية حتى في بلاد الغرب، فمواجهة هذه الأعمال اللإنسانية واللإسلامية يعيد للمسلمين

الطمأنينة والأخوة والمحبة، ويحثهم على التعاون في سبيل البر، ويبطل كل الأقاويل والتهم الإرهابية الموجهة ضد الإسلام والمسلمين، وختامًا نهيب بالعالم الإسلامي وندعوه إلى السير خلف علمائه الابرار من كل مذهب للحفاظ على وحدة الأمة الإسلامية، وحقن دمائها و إظهار صورتها الناصعة.

إن قتل الأبرياء العزل من أبناء الأمة الإسلامية تحت عنوان الجهاد في سبيل الله و إطاعة لأمر رسوله، يعد تحريفًا لأقدس فريضة سماوية شرّعت للدفاع عن حقوق المسلمين عامة، وحقن دمائهم، وأقيمت لتقوية شوكة الإسلام والمسلمين وحماية المستضعفين، وهذا التحريف استوجب الاساءة إلى صورة الإسلام على أيدي عناصر تجهل الإسلام حقيقة ومفهومًا، أمام الآخرين من أبناء الديانات السماوية والإنسانية.

بات من الواضح ايضًا أن الوقوف أمام التحركات المسلحة التكفيرية لا يتحقق بواسطة الدول والحكومات فقط، بل هو فرض على جميع المسلمين علماء ومفكرين أن يقفوا بوجهه بكل قوة ؛ فنحن بحاجة إلى جهاد عام في مجال الفكر والتوعية العامة دفاعًا عن الإسلام، الذي أخذ يكتسح قلوب الإنسانية حتى في بلاد الغرب.

دور سيرة النبي

في إيجاد الأمة الإسلامية الواحدة

أبو الكلام آزاد (*)

عرض موجز لسيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ تدل بما لا يقبل الشك أن هم الرسول الأول .بعد إعلان كلمة التوحيد .رض صفوف الأُمة، واتخاذ الموقف التوحيدي من الاختلاف الطبيعي بين الصحابة، والتركيز على جمع القلوب وتوطيد روح الاخوة بين المسلمين.

قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالًا كثيرًا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾.

إن الإنسان أشرف خلق الله، وهو عبد وخليفة لله؛ فالناس كلهم سواسية في وظيفة العبودية والخلافة، ومن ثم يعتبرون كوحدة

---

*- باحث من بنغلادش.

واحدة، ومن جانب آخرهم متحدون في أصل الخلق وهو التراب، حيث قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾[1]، وجاء في الحديث النبوي: «لا فضل لأحد على أحد، كلكم لآدم وآدم من تراب».

ومن هنا اعتبر الإسلام الناس بغضّ النظر عن ألوانهم وأشكالهم وأجناسهم أمة واحدة، قال سبحانه وتعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾[2]، ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾[3].

ولم يعتبر الناس كأمة واحدة أي دين سوى الإسلام فقد نظر الإسلام إلى بني آدم من حيث إن خالقهم هو الله، وأصل خلقهم واحد وهو آدم وآدم من تراب.

والهدف من خلق البشر واحد وهو أن يعبدوا خالقهم ومليكهم وربهم، وأن لا يشركوا به أحدًا من خلقه؛ ومنزلة الإنسان هي أنّه خليفة الله في الأرض.

وبناء على أن الناس أمة واحدة من حيث المبدأ والهدف والمكانة، ولحفظ وحدة الأُمة خلال أداء وظيفة العبودية ومسؤولية الخلافة، و إرشاد الناس إلى الطريق السوي، و إزالة الخلافات والنزاعات فيما بينهم، وتعزيز صلتهم بخالقهم وربهم فقد أُرسلت الرسل وبُعثت

١- الروم:٢٠.

٢- البقرة:٢١٣ .

٣- يونس:١٩.

الأنبياء وأُنزلت الكتب والصحف في مختلف العصوروالأزمان.

الوضع الاجتماعي الذي ولد فيه الرسول (ص)

إن الحقبة الزمنية التي ولد ونشأ فهيا نبينا وحبيبنا محمد بن عبدالله ـ صلى الله عليه وآله ـ تسمى بالعصرالجاهلي نسبة إلى الجهل؛ لاالجهل ضد العلم؛ فقد عاش في ذلك العصرخطباء مصاقع وشعراء فحول، ونشطت فيه حركة أدبية ملحوظة، تعد المعلقات السبع من أبرزسماتها، بل الجهل الذي يعني فقدان القيم الإنسانية من نفوس الناس الذي عاشوا فيه؛ فقد كان العرب يعيشون قبائل متنابذة لا يعرفون فكرة الأُمة الواحدة و إنّما يعرفون فكرة القبيلة، وكل قبيلة تتعصب لأفرادها تعصبًا شديدًا، فإذا جنى أحدهم جناية شركته في مسؤوليتها و إذا قُتل أحد أبنائها هبّت للأخذ بثأره هبة واحدة. وكانت تنشب الحرب بينهم لأتفه الأسباب وتستمرإلى أعوام وسنين وتؤدي إلى خسائرهائلة في الأموال والأنفس.

في هذا الوضع الذي كان يسوده التفرق والتشتت ولد ونشأ وترعرع إمام المرسلين نبينا محمد ـ صلى الله عليه وآله ـ.

بعثة الرسول

شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يختارأفضل البشرمن أوسط

نسب من أشرف قبيلة ومن أم القرى للرسالة الخاتمة الخالدة ﴿اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[1] ، وبدأ الوحي ينزل عليه وهو ابن أربعين في أفضل الشهور وهو رمضان المبارك، وفي ليلة خير من ألف شهر وهي ليلة القدر.

عندما أُمر النبي -صلى الله عليه وآله- بالصدع بالدعوة أمام مواطني مكة المكرمة، طلع الصفا ونادى قومه داعيًا الناس جميعًا بقوله: «قولوا لا إله إلاّ الله تفلحوا» وهذه الصيغة تدل على عالمية رسالته واهتمامه البالغ بالقضاء على التمزق والتشتت الذي يسود مجتمعه وبلاده، وصراحة إعلانه لتوحيد الناس المتشتتين في صف واحد وتحويلهم إلى أمة واحدة تجمعها كلمة التوحيد «لا إله إلاّ الله».

ولكونه -صلى الله عليه وآله- لم يبعث إلى قوم ما، بل إلى الناس كافة الذين كانوا أمة واحدة، ثم تفرقت وتشتت عندما تنازعت واختلفت وتباعدت من كلمة التوحيد، لذلك أمر الله سبحانه رسوله أن يقول: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا﴾[2] فقد كان يخاطب في دعوته جنس الإنسان ولم يكن يخاطب قومه كإخوته السابقين من الأنبياء والرسل، فأول خطاب وأول أمر في المصحف الذي بين أيدينا هو: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[3] .

١- الأنعام:١٢٤ .

٢- الأعراف:١٥٨ .

٣- البقرة:٢١ .

كان النبي (ص) تفسيرًا واقعيًا للقرآن الكريم، ولم تكن سيرته إلاّ مثالًا حيًا للقرآن الكريم، وأشارت إلى ذلك أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها بقولها «كان خُلقه القرآن».

إذا نظرنا إلى دعوته في الفترة التي قضاها في مكة المكرمة بعد البعثة وجدنا أنّه بذل قصارى جهوده في إزالة التشتت القبلي والقضاء على التمييزالعنصري، ولتكوين أمة واحدة على أساس القيم الإنسانية بناء على عقيدة التوحيد؛ فقد سعى لرفع مكانة الإنسان بصفته إنسانًا بغضّ النظرعن النسب واللون والجنس، وحاول أن يثبت أن انقسام الناس إلى شعوب وقبائل لا يدل على أن بعضهم أفضل من بعض، بل الناس سواسية من حيث الأصل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1] . فوجدنا أنّه انضم إليه سادة قريش من أبي بكروعمروعثمان وعلي وحمزة، وعبيدها من بلال الحبشي وصهيب الرومي وأمثالهما، رضي الله عنهم جميعًا. كانوا يجتمعون في مجلس واحد وكانوا يقفون في صف واحد في الصلاة خلف رسولهم و إمامهم محمد بن عبدالله (ص) ناسين التمييزالعنصري، وكانت قلوبهم مملوءة بشعورالأخوة والمودة، حيث إنهم كانوا نموذجًا حيًا لقوله تعالى ﴿إنّما المؤمنون اخوة﴾[2] .

قضى الرسول (ص) ثلاث عشرة سنة في مكة المكرمة وذاق

١- الحجرات:١٣.

٢- الحجرات:١٠.

مختلف ألوان الظلم والاضطهاد هو وأصحابه، في هذه الفترة عندما اشتد الأذى والتعذيب وتآمرأهل مكة على قتله أمربالهجرة إلى المدينة المنروة، فهاجرهو وأصحابه إليها، هاجرالمسلمون رجالًا ونساء تاركين بلادهم الحبيبة وديارهم العزيزة وكل ممتلكاتهم مفضلين العقيدة ـ التي هي أعظم وأقدس نعم الله وأجلّها على عبده ـ على الدنيا وما فيها. لم يحدث منهم أي خلاف ونزاع في ترك الديار والأقارب ولم يترددوا في الخضوع لحكم الله والامتثال لأمر الرسول (ص)، وهم يعلمون أنهم يتركون بلادهم العزيزة التي ولدوا ونشأوا فيها وأموالهم وأقاربهم وذكريات حياتهم.

ولو حدث الخلاف في صف المسلمين ونشأ التردد في قلوبهم في هذا الوقت الصعب الحرج لاضمحل البنيان المرصوص لوحدة الأُمة الإسلاميّة الصغيرة التي أوجدها الرسول (ص) في ثلاثة عشرعامًا.

هجرة الرسول ـ صلى الله عليه وآله ـ وسعيه لإرساء وحدة الأُمة

بعد أن قدم الرسول (ص) المدينة اهتم بثلاثة أمورلتعزيزوحدة الأُمة الإسلاميّة، هي:

أولًا: بناء المسجد، وثانيًا: المؤاخاة بين الأنصاروالمهاجرين، وثالثًا: المعاهدة مع اليهود.

أولًا: بناء المسجد: وصل الرسول (ص) المدينة يوم الاثنين وأقام بقباء ومكث بها حتّى يوم الخميس، وخرج منها يوم الجمعة

فأدركت رسول الله (ص) الجمعة في بني سالم بن عوف ما بين قباء والمكان الذي يقع فيه المسجد النبوي الشريف، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة. بعد أن فرغ من الصلاة توجه النبي (ص) إلى قلب المدينة حتّى إذا أتى داربني مالك بن النجاربركت ناقته على باب مسجده، وهو يومئذ مربد لغلامين يتيمين من بني النجارهما سهل وسهيل، اشترى الرسول(ص) هذا المربد وأمر ببناء المسجد فيه ونزل عند أبي أيوب حتّى بنى مسجده ومساكنه، فعمل فيه رسول الله(ص) ليرغب المسلمين في العمل فيه، فعمل فيه المهاجرون والأنصار وارتجزالمسلمون وهم يبنون المسجد يقولون: لا عيش إلاّ عيش الآخرة اللهم أرحم الأنصار والمهاجرة. فيقول الرسول (ص): لا عيش إلاّ عيش الآخرة اللهم ارحم المهاجرين والأنصار.

فالرسول (ص) أول ما قام به في المدينة هو بناء المسجد، وهو شعارلتقوية صلة المسلمين بربهم وتعزيزالروابط فيما بين المسلمين، حيث يأتونه لأداء الصلوات ويلتفون فيه حول إمامهم ورسولهم (ص)، ليسمعوا منه عن دينهم وواجباتهم ويأخذوا توجيهاته حول مسؤولياتهم، فكان المسجد مركزاجتماعاتهم ونادي أنشطتهم المتنوعة، وهكذا لعب المسجد دورًا طليعيًا لإيجاد الأُمة الإسلاميّة الواحدة التي عقيدتها واحدة، وربها واحد وقبلتها واحدة ونبيها واحد وكتابها واحد وشعورها واحد وهدفها واحد.

ثانيًا: المؤاخاة بين الأنصاروالمهاجرين: بعد بناء المسجد كرمز

للرابطة بين العباد وربهم، قام النبي بالمؤاخاة بين المهاجرين الذين تركوا ديارهم وأقاربهم لأجل دينهم والأنصارالذين آووا هؤلاء الأجانب الذين نزلوا عليهم ونصروهم، وقدموا لهم كل ما أمكن لهم لكونهم إخوتهم في الدين، وكتب الرسول (ص) كتابًا بين الأنصاروالمهاجرين في هذا الخصوص، جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس. و إن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس» وهذه المؤاخاة تدل على عناية الرسول (ص) واهتمامه بإرساء الروابط في صفوف المسلمين، حتّى تكون كلمتهم واحدة وتكون العلاقة بينهم متينة راسخة، كالبنيان يشد بعضه بعضًا.

ثالثًا: المعاهدة مع اليهود: الخطوة الثالثة التي قام بها الرسول هي المعاهدة مع يهود المدينة المنورة حيث كتب كتابًا في هذا الخصوص، جاء فيه:«إن اليهود أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يهلك إلاّ نفسه وأهل بيته» وهذه المعاهدة مع اليهود تشيرإلى اهتمام الرسول بالابتعاد عن الخلافات والتشتت في مجتمع واحد، و إلى عنايته بالتعاون والتضامن فيما بين أفراد المجتمع بغض النظرعن عقيدتهم ودينهم.

الغزوات واهتمام الرسول بالوحدة

كان الرسول شديد الاهتمام بتعزيزالوحدة في الأُمة الإسلاميّة وتوحيد كلمة أفرادها في الحرب والسلم، ويجد كل من يمربسيرة الرسول (ص) العطرة أنّه كان حريصًا على ما يرسي وحدة الأُمة، ومبغضًا لما يفتر عُرى الوحدة في حياته كلها؛ في الغزوات والحروب وفي السير والجلسات والاجتماعات؛ أذكرهنا بعض المواقع المهمة التي تجلى فيها حرصه البالغ على الوحدة والاتحاد.

غزوة بدرالكبرى:

في السنة الثانية من الهجرة خرج رسول الله (ص) من المدينة المنورة، ومعه عدد من الأنصاروالمهاجرين، وأراد عِبر قريش بقيادة أبي سفيان التي كانت تأتي من الشام، ولما دنا رسول الله من بدر أتاه الخبرعن قريش أنهم خرجوا للدفاع عن عيرهم، فاستشار الصحابة الذين كانوا معه، فقام أبو بكرالصديق فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال وأحسن، وسرالرسول ما قاله المقداد، ثم قال رسول الله أشيروا علي أيها الناس، و إنّما يريد الأنصار، قال سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله قال : أجل، قال: قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت هذا البحرفخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن

تلقى بنا عدونا غدًا، إنا لصُبُرفي الحرب صُدُق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقرّ به عينك، فسر بنا على بركة الله، فسُرّ رسول الله(ص) بقول سعد، ثم قال: سيروا وابشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظرإلى مصارع القوم.

وتدل هذه الاستشارة على أن النبي (ص) بصفته قائدًا لم يحسم القراربنفسه، بل أخذ آراء الصحابة، ولم يقتنع بتأييد المهاجرين، بل انتظرتأييد الأنصارحتّى تكون لكمة المسلمين من المهاجرين والأنصار كلمة واحدة للدفاع عن الإسلام.

غزوة أحد:

بعد هزيمة المشركين في بدرأجمعت قريش على حرب المسلمين، فلما سمع رسول الله أنّه خرجت قريش بقيادة أبي سفيان بن حرب للهجوم على المدينة استشارالصحابة، ورأى الرسول (ص) أن يقيم المسلمون بالمدينة، و إن داهمت قريش المدينة يقاتلوهم، ولكنه رأى أن معظم المسلمين يريدون الخروج من المدينة وقتالهم خارجها، فالتزم الرسول (ص) رأي الصحابة احترامًا واهتمامًا بوحدة الأُمة حتّى لا يحدث أي خلاف ونزاع في صفوف المسلمين.

بنو قريظة:

نكث بنو قريظة عهدهم مع الرسول(ص) في غزوة الخندق،

فلما انتهى أمر غزوة الخندق رجع الرسول (ص) إلى المدينة، والمسلمون وضعوا السلاح فأتى جبريل رسول الله (ص)، وقال: إن الله عزّوجلّ أمرك يا محمد بالمسيرإلى بني قريظة؛ فأمر رسول الله(ص) مؤذنا فأذن في الناس: من كان سامعًا مطيعًا فلا يصلين العصرإلاّ ببني قريظة، فأدركتهم في الطريق فقال بعضهم لا نصلي حتّى نأتيها، وقال بعضهم بل نصلى ولم يرد منا ذلك، فذكر ذلك للنبي(ص) فلم يعنف أحدًا، وهذا الحادث في إصابة الرسول(ص) كل من الفريقين، أحدهما صلى العصرفي الطريق، والآخرأخرالعصرولم يصلها في وقتها، بل صلاها بعد أن وصل بني قريظة يدل على اهتمام الرسول (ص) البالغ بتعزيزوحدة المسلمين، حتّى لا ينشب الخلاف في صفوفهم لأتفه سبب.

أموال هوازن وعطايا المؤلفة قلوبهم منها

أعطى الرسول (ص) من أموال هوازن المؤلفة قلوبهم، وكانوا أشرافًا من أشراف الناس يتألفهم ويتألف بهم قومهم، لما أعطى رسول الله (ص) ما أعطى من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب ولم يكن في الأنصارمنها شيء فوجد الأنصارفي أنفسهم حتّى كثرت منهم القالة فدخل سعد بن عبادة على الرسول(ص)، فقال يا رسول الله إن هذا الحي من الأنصارقد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمت في قومك وأعطيت عطايا

عظامًا في قبائل العرب، فجمع الرسول (ص) الأنصاروقال لهم يا معشرالأنصارما مقالة بلغتني عنكم ووجدة وجدتموها عليّ في أنفسكم؟ ألا ترضون يا معشرالأنصارأن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرًا من الأنصار، ولو سلك الناس شعبًا وسلكت الأنصارشعبًا لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصاروأبناء أبناء الأنصارفبكى القوم حتّى اخضلّت لحاهم وقالوا رضينا برسول الله قسمًا وحظًا.

ولو لم يبال الرسول بهذا الموقف الخطرلأشعل الشيطان نارالحقد والبغض في قلوب الأنصار، وهذا الحقد يمزق وحدة صفوف المسلمين المتينة، فاهتم الرسول (ص) بالموضوع باعتباره قائدًا حكيمًا وأجمع الأنصاروأزال الغضب وجميع أنواع الشكوك والريب من قلوبهم وحفظ وحدة الأُمة.

معاملته مع المنافقين ومحاولته لحفظ الوحدة

كان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ يعلم المنافقين بالوحي من الله تعالى، ولكنه لا يفضحهم ولا يقتلهم خوفًا من اضمحلال الوحدة الراسخة للامة الإسلاميّة، حتّى لا تحدث البلبلة ويقال: إن الرسول ـ صلى الله عليه وآله ـ يقتل أصحابه ويشعل الشيطان نيران الفتنة في صف المسلمين، فكان يصبرعلى إيذائهم إياه وتآمرهم ضده لصالح الوحدة بين الأُمة الإسلاميّة.

حرص الرسول على كل ما يعززوحدة الأُمة الإسلاميّة

بناءًا على حرصه البالغ على إيجاد الأُمة الإسلاميّة الواحدة و إرساء العلاقة المتينة، شرّع الإسلام آدابًا فاضلة وأخلاقًا سامية، وطبقها رسول الله في حياته وحث المؤمنين على الالتزام بها، أذكرهنا بعض هذه الآداب الرفعية ولاأريد استقصاءها؛ إفشاء السلام والمصافحة و إطعام الطعام وعيادة المريض واتباع الجنائز ونصرة الضعيف وعون المظلوم وحسن الظن بالآخرين والتفسح في المجالس والاستئذان وبشاشة الوجه عند اللقاء وما إلى ذلك، وهذه الخصال الحميدة والآداب الرفيعة تعززأواصرالأخوة والمودة بين المسلمين، ومن ثم تلعب دورًا مهمًا في إيجاد أمة واحد كالبنيان المرصوص، وتصبح هذه الأُمة كجسد واحد في الفكروالشعوروالفرح والألم، واليه أشارالرسول بقوله «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائرالجسد بالسهر والحمى» وقال ـصلى الله عليه وآله ـ:«مثل المؤمنين كالبنيان يشد بعضه بعضًا».

كراهية الرسول ـصلى الله عليه وآله ـ كل ما يفتروحدة الأُمة

حرم الشرع كل ما يُفتروحدة الأُمة الإسلاميّة ويضعف بنيانها، وكان رسول الله يكرهه كراهية شديدة، ورغّب عنه المسلمين وحذّرهم منه. حرّم الإسلام قطيعة الرحم و إيذاء الناس والبخل والشح والِكبَروالإعجاب و إفشاء سرالآخروالحسد والبغض وسوء

الظن بالمسلمين واحتقارهم والغش والخداع والهجران والغيبة، وما إلى ذلك من الأوصاف الدنيئة التي تسبب انهيار بنيان الأُمة الإسلاميّة المرصوص، فجاءت أحاديث كثيرة في النهي عنها.

ثبت من هذا العرض الموجز أن سيرة الرسول ـ صلى الله عليه وآله ـ العطرة من أولها إلى آخرها مصدر قوي لإيجاد الأُمة الإسلاميّة الواحدة، انطلاقًا من قول الله عزّوجلّ: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا﴾[1] ، كان الرسول دائمًا يحث الأُمة على الجماعة ويحذرها من التفرق والخلافات.

وختامًا لهذا البحث الموجز من خلال فهمي و إيماني بما اهتم إمامنا وقائدنا ورسولنا محمد بالوحدة بين الأُمة الإسلاميّة أود أن أقدم بعض الاقتراحات للاعتبار بها:

١ ـ تحديد أعداء الإسلام والمسلمين وتوحيد صفوف المسلمين، بغض النظر عن المذاهب والاتجاهات ومدارس أفكارهم؛ فإن الأُمة الإسلاميّة جمعاء تمر الآن بأصعب مراحلها وأحرجها، وأعداء الإسلام مع وجود الخلافات والنزاعات فيما بينهم متحدون ضد الإسلام والمسلمين، فهم يحاولون ليل نهار القضاء على الإسلام وتقويض بناء الوحدة الإسلاميّة وتمزيق صفوف المسلمين ويصرفون لتحقيق غرضهم الخبيث هذا أموالًا طائلة، ويستخدمون وسائلهم الإعلامية بمختلف أنواعها وأشكالها، وكان يجب علينا أن نعرف أعداءنا ونكون على حذر منهم ونعد لهم ما استطعنا من قوة ونواجه

١- آل عمران: ١٠٣.

مكائدهم ومؤامراتهم، ولكن مع الأسف الشديد نحن المسلمين نتنازع فيما بيننا، ونختلف في الأمور التافهة التي لا وزن لها؛ فتضيع قوتنا في مواجهة من يخالفنا من إخوتنا المسلمين، وأما عن أعدائنا الألداء فنحن غافلون.

فمن أهم الواجبات علينا في العصر الذي نعيش فيه أن ننسى الخلافات والنزاعات فيما بيننا، ونجمع قواتنا ونوحد كلماتنا ضد أعدائنا الذين هدفهم الأُمة الإسلاميّة بأسرها، ليس مذهبًا ما، بل كل من ينتمي إلى الإسلام بغض النظر عن مذهبه واتجاهه وبلاده.

٢ .تطورت في هذا العصر وسائل الإعلام المتنوعة من المقروءة والمسموعة والمرئية، ويستخدم أعداء الإسلام والمسلمين هذه الوسائل في محاربة الإسلام، ولهم سيطرة قوية على وسائل الأعلام الدولية فيبثون عن الإسلام والمسلمين ما يريدون وفي معظم الأحيان يهملون الأحداث التي تختص بمصالح المسلمين، فالمسلمون في الشرق لا يعلمون ماذا يحدث بالمسلمين في الغرب وبالعكس. فهم يشوهون الشريعة الإسلاميّة السمحة والشخصيات الإسلاميّة. ومن جانب آخر يبثون الأفلام الخليعة والبرامج اللاأخلاقية ويهدفون إلى هدم أخلاق الشباب الإسلامي ونشر الفحشاء في المجتمعات الإسلاميّة.

ونظرًا إلى خطر الإعلام وما يسيطر عليه أعداؤنا فلابد أن تمتلك الأُمة الإسلاميّة وسائل الإعلام القوية وتواجه مكائد الأعداء ومؤامراتهم الخبيثة، وتبث الأحداث التي تعنى بالإسلام والمسلمين، حتّى يعلم المسلم المقيم بأقصى الشرق ما يحدث بإخوانه في الغرب، وتبث برامج ترفع مستوى أخلاق الشباب الإسلامي.

٣ ـ لمواجهة الأعداء ولحفظ الأجيال الإسلاميّة تحتاج الأُمة إلى قادة أكفاء، فلابد من اتخاذ خطوة واقعية لبرنامج تدريب نخبة من الشباب من كل بلد إسلامي بغية جعلهم قادة مؤهلين.

٤ ـ لابد من بناء مركز إسلامي رفيع المستوى للدراسات والبحوث، ومكتبة دولية في كل بلد إسلامي، حيث يقوم الشباب المتفوقون بالبحث في مختلف الموضوعات الإسلاميّة المهمة ومن ثم تزداد مقدرتهم وموهبتهم، ويستطيعون أداء دورهم بكل كفاءة.

٥ ـ لابد أن يكون هناك مصرف إسلامي موحد للدول الإسلاميّة، ومع وجود البنك الإسلامي للتنمية لكنه غير فعال وهو دون مستوى الطموح، فلابد من وجود مصرف إسلامي موحد للعالم الإسلامي الذي يؤدي دوره ويقوم بأداء مسؤولياته بكامل الحرية دون أي قيود وضغوط من الخارج.

٦ ـ يمكن أن يكون هناك منبر عالمي للدول الإسلامية يسعى لتوحيد صفوف المسلمين وتقريب المذاهب الإسلاميّة، ويتم تعيين دعاة يدعون المسلمين إلى الوحدة وينهونهم عن التفرق والتمزق ويحذرونهم من الخلافات والنزاعات وينبهونهم على الأعداء بمختلف أنواعهم وأشكالهم.

حفظنا الله من التفرق والتشتت، ورزقنا الوحدة والاعتصام بحبله، ووفقنا للعمل لتوحيد صفوف المسلمين، ومواجهة أعداءهم ومحاربة أولياء الشيطان في صف واحد كالبنيان المرصوص.

المنهج النبوي في بناء الوحدة

كيف يمكن تحقيق الوحدة السياسية والاجتماعية في مجتمع يعيش انقسامات حادة على أساس قومي أو ديني ـ مذهبي، أو مناطقي أو قبلي؟

هل يكون ذلك بالمراهنة على تذويب الهوّيات و إلغاء مشاعر الانتماء الخاص؟

أو بغلبة طرف و إخضاعه لسائر الأطراف؟

أم أن هناك أساليب وخيارات أصوب؟

بإمكاننا أن نقرأ في الإنجاز التاريخي الذي تحقق على يد رسول الله (ص)، بقيام الدولة والمجتمع الإسلامي الأول، تجربة ناجحة رائدة على هذا الصعيد.

حيث يجمع المؤرخون أن مجتمع الجزيرة العربية قبل الإسلام كان ممزقًا لا يجمعه كيان، ولا يلم شمله نظام، كانوا قبائل متناثرة، في أجواء علاقات مضطربة، غالبًا ما تفضي إلى العداء والاحتراب، ومن يقرأ أيام العرب، وهو ما يطلق على معاركها وحروبها، تدهشه تلك المعارك الضارية، التي تنشب لأتفه الأسباب، ففي كتاب *أيام العرب في الجاهلية* الذي اشترك في إعداده ثلاثة من الباحثين، عرض لعشرات الحروب الداخلية بين القبائل العربية،

فمعارك القبائل القحطانية فيما بينهم بلغت عشر معارك، وبين القحطانيين والعدنانيين عشر معارك، وفيما بين قبائل ربيعة ست معارك، وما بين ربيعة وتميم خمسة عشر معركة، وبين قبائل قيس إحدى عشرة معركة، وبين قيس وكنانة عشر معارك، وبين قيس وتميم سبع معارك، وبين قبائل ضبّة وغيرهم خمس معارك، وهناك معارك أخرى متفرقة.[1]

ويبدو أن هذه الحروب التي عرضها المؤلفون، هي ما تناقلت كتب التاريخ والأدب أخبارها، أما سائر المعارك وهي كثيرة فقد تجاوزوا ذكرها، جاء في مقدمة الكتاب: «وقد اقتصرنا على الأيام المشهورة التي وصل إلينا تفصيل حوادثها، وذكر أسبابها، ورواية أشعارها وقصائدها، أما الأيام التي لم يقع في الكتب إلا ذكر عناوينها مجردة من الحوادث وذكر الأسباب، فقد جاوزها اختيارنا روى صاحب *كشف الظنون* وغيره: أن أباعبيدة قد ألف كتابًا صغيرًا حوى خمسة وسبعين يومًا (معركة)، وآخر كبيرًا جمع فيه ألفًا ومائتي يوم، وأن أبا الفرج الأصفهاني ألف كتابًا جمع فيه ألفًا وسبعمائة يوم».[2]

كان ولاء العربي أولًا وأخيرًا لقبيلته، مما يعني انصهاره فيها، وتغنيه بقوتها وأمجادها، وشدته تجاه ما يخالفها. وقد لاحظ الأستاذ

١- جاد المولى: محمد أحمد وآخرون، أيام العرب في الجاهلية.

٢- المصدر السابق ص: ك، ل.

أحمد أمين أنه «حين تقرأ الشعر الجاهلي تشعر ـ غالبًا ـ أن شخصية الشاعر اندمجت في قبيلته حتى كأنه لم يشعر لنفسه بوجود خاص، وأنك لتتبين هذا بجلاء في معلقة عمرو بن كلثوم، وقل أن تعثر على شعر ظهرت فيه شخصية الشاعر، ووصف ما يشعر به وجدانه، وأظهر فيه أنه يحسّ لنفسه بوجود مستقل عن قبيلته».[1]

في هذا المجتمع المتنوع قبليًا، والذي تسوده نزعة التطرف في الولاء للقبيلة، ويعيش حالة الصراع والاحتراب بين قبائله، بعث الله تعالى نبيه محمد(ص)، فاستطاع خلال أقل من ربع قرن من الزمن، أن يبني من تلك القبائل مجتمعًا متماسكًا، وكيانًا موحدًا، يحمل للعالم مشروعًا حضاريًا متقدمًا.

حقًا إنه إنجاز عظيم لا نظير له في تاريخ البشرية.

وهو ما لفت نظر الدكتور (مايكل هارت) من أمريكا، عند تأليفه لكتاب عن المئة الأوائل في تاريخ البشرية، فوضع شخصية النبي محمد على رأس القائمة كأهم شخصية في تاريخ البشر، وكتب عن هذا الاختيار قائلًا: «إن اختيار المؤلف لمحمد ليكون على رأس القائمة التي تضم الأشخاص الذين كان لهم أعظم تأثير عالمي في مختلف المجالات، إن هذا الاختيار ربما أدهش كثيرًا من القراء، إلى حد أنه قد يثير بعض التساؤلات، ولكن في اعتقاد المؤلف: أن محمدًا كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى

١- أمين: أحمد، فجر الإسلام ص٥٩.

وأبرز في كلا المستويين الديني والدنيوي».[1]

فكيف استطاع رسول الله (ص) تحقيق هذا الإنجاز العظيم؟

وما هي الخطة التي اعتمدها لتوحيد ذلك المجتمع المتناثر الأشلاء؟

الهويّة المشتركة

في حالة الانقسام الاجتماعي تتضخم الهويّة الخاصة عند كل طرف من الأطراف، فهي حدود الدفاع عن ذاته، وخندق مقاومته، وعنوان وجوده، ومن أجل أن يتوحد المجتمع، لابد أن تنخفض درجة الغليان في الهويّات الخاصة، لصالح هويّة مشتركة يتمثل فيها وجود كل الأطراف، وترى من خلالها ذاتها بدرجة متماثلة.

وهنا لا يمكن أن تقوم هويّة أحد الأطراف بهذا الدور، لأن بروزها يستثير تحدي بقية الهويّات، و إعلانها يعني غلبتها واعتراف الآخرين بالهزيمة أمامها.

فإذا كان المجتمع منقسمًا على أساس قومي، فلا يمكن أن تشكل إحدى قومياته إطارًا لوحدته، وتصبح هوية جامعة له، وكذا الحال لو كان متعدد الأديان أو المذاهب، فإن أحدها لن يقوم بدور الجامع المشترك.

فلا بد من عنصر مشترك بين أجزاء المجتمع، يتم إبرازه والتركيز عليه كهويّة جامعة، أو تنمو حالة فكرية سياسية جديدة تتمحور

١- هارت: مايكل، دراسة في المائة الأوائل.

حولها فئات المجتمع، وتصبح هدفًا مشتركًا و إطارًا جامعًا.

وهذا ما تحقق على يد رسول الله (ص)، ومن خلال دعوته الإسلامية المباركة، والتي أصبحت حالة سريعة النمو تخترق أوساط مختلف القبائل، وتبشر بتوجه جديد يحفّز نحو أهداف سامية، ويتبنى قيمًا إنسانية حضارية، تتجاوز أنانية الأفراد، وعصبية القبائل، وعبثية الحياة.

لقد أخذ الإيمان موقعه في نفوس أبناء تلك القبائل المتصارعة، وتمحور حوله ولاؤهم، وتوثق له انتماؤهم، على حساب الولاء القبلي، والانتماء العشائري، فأصبح إطارًا جامعًا وهويّة مشتركة، يفخر به الجميع بدرجة متساوية على اختلاف قبائلهم وتفاوت مكانتها وقوتها.

ثقافة الوحدة

حالة الانقسام والفرز الاجتماعي، تحفر آثارها في النفوس والمشاعر، بتضخيم الذات الفئوية، والحط من شأن المنافسين، والتعبئة تجاههم، كما تنتج ثقافة تبرر التمايز، وتكرّس المفاصلة، وقد تدفع إلى سلوكيات عدائية، وممارسات استفزازية.

وحين يحصل تطلع للوحدة في المجتمع، لا بد من ثقافة جديدة تعالج آثار ثقافة الانقسام، وتواجه مفاعيلها النفسية والسلوكية.

لقد كان الصراع والتنافس القبلي في الجزيرة العربية، دافعًا

لتربية الأبناء على الفخروالاعتزازبانتمائهم للقبيلة، وتنمية مشاعر التميّزوأحاسيس الأفضلية على الآخرين، وهذا ما تنضح به قصائد شعرائهم، وخطب زعمائهم.

إن الحماسة والفخرهو من الأغراض الأساسية في الشعرالعربي الجاهلي، حيث يتفنن الشعراء في تمجيد قبائلهم و إظهارمكانتها، وفي شعرعمرو بن كلثوم نموذج صارخ لمثل هذا التوجه، حيث يقول في إحدى قصائده:

ملأنا البرحتى ضاق عنا وماء البحرنملؤه سفينا
ونشرب إن وردنا الماء صفوًا ويشرب غيرنا كدرًا وطينا
إذا بلغ الفطام لنا وليد تخرله الجبابرساجدينا
لنا الدنيا ومن أضحى عليها ونبطش حين نبطشقادرينا

والوجه الآخرلهذا اللون من الأدب الجاهلي هوأدب الهجاء، حيث يبالغ الشعراء في الحط من شأن القبائل المنافسة لقبيلتهم، ووصفها بأسوأ النعوت، وأقبح الصفات.

وجاء الإسلام ليوحد تلك القبائل، فاهتم بمواجهة تلك الثقافة التمييزية السائدة، باجتثاث جذورها النفسية والفكرية، ومقاومة آثارها السلوكية، حيث أكدت آيات القرآن الكريم، على الأصل الواحد لبني البشر: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[1]، ونسفت كل مبررات التفاضل الزائفة بين الناس، إلا على أساس كسبهم

١- سورة النساء: آية ١.

الاختياري للصفات الفاضلة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1].

وشدد رسول الله (ص) في خطاباته وأحاديثه على مبادئ الوحدة بين أبناء المجتمع الإسلامي، وشّن حرباً ضارية على الأفكار والتصورات الجاهلية، بالتفاخر بالأنساب والأحساب، أو التفاضل بالانتماء القبلي أو العرقي.

كقوله (ص): «ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية».[2]

وروي عنه (ص): أنه خطب يوم فتح مكة فقال: «أيها الناس ليبلغ الشاهد الغائب: إن الله قد أذهب عنكم بالإسلام نخوة الجاهلية، والتفاخر بآبائها وعشائرها، أيها الناس إنكم من آدم وآدم من طين، ألا و إن خيركم عند الله وأكرمكم عليه اليوم أتقاكم وأطوعكم له».[3]

وعن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: خطبنا رسول الله (ص) في أوسط أيام التشريق خطبة الوداع فقال: «يا أيها الناس إن ربكم واحد و إن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي

١- سورة الحجرات: آية ١٣.

٢- السجستاني: الحافظ أبوداود، سنن أبي داود، حديث رقم ٥١٢١.

٣- المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧٠ ص٢٩٣.

على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم».[1]

وفي إحدى الغزوات حصل سوء تفاهم بين مهاجري وأنصاري فصاح أحدهما يا للمهاجرين ونادى الآخر: يا للأنصار، فلما سمع رسول الله (ص) أدان هذا المنطق قائلًا: «ما بال دعوى الجاهلية؟ دعوها فإنها منتنة».[2]

بالطبع فإن المرفوض هو تفعيل الانتماء القبلي سلبيًا، وتضخيمه على حساب الولاء للمبدأ، دون أن يعني ذلك رفض الاعتراف بالانتماءات، والإقرار بالكيانات القبلية في مضمونها الإيجابي.

الشراكة الفعلية

لا شيء يحقق وحدة المجتمع كالشراكة الفعلية بين أطرافه في البناء واتخاذ القرار وإدارة الأمور، فذلك هو ما يشعر الجميع بمصلحتهم المشتركة في الحفاظ على كيان الوحدة، ورفض ما يمسّ بها، كما يجسد واقع المساواة في الحقوق والواجبات، أما إذا استأثرت بعض الأطراف بذلك، فإن الآخرين سيتملكهم الإحساس بالغبن والظلامة، وسيدفعهم شعورهم بالإقصاء والتهميش إلى القيام بردود فعل ليست في صالح الوحدة واستقرار المجتمع.

١- المتقي الهندي: علي، كنز العمال، حديث رقم ٨٥٠٢.

٢- القشيري النيسابوري: مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، حديث رقم ٢٥٨٤.

إن إقصاء أي طرف يحرم المجتمع من فاعليته وعطائه، ويفتح ثغرة في جداروحدة المجتمع وأمنه.

ومن مفاخرالإسلام العظيمة سبقه إلى إقرارمبدأ المشاركة الشعبية، والشراكة الاجتماعية، وفي وقت كانت ترزح فيه المجتمعات البشرية في ظل أنظمة الاستبداد والعنصرية والطبقية البغيضة.

كان رسول الله (ص) يمارس الشورى على الصعيد الاجتماعي العام، ليدلي كل مسلم برأيه، كبيرًا كان أو صغيرًا، من الأحرارأو الموالي، من المهاجرين أو الأنصار، ومن أية قبيلة كان، وحتى العناصر غيرالعربية أخذت موقعها دون أي تفاوت، بل احتل بعضها موقعًا متميزًا بجدارته كصهيب الرومي وسلمان الفارسي.

وفي مجال الوظائف والمهام القيادية، كان رسول الله (ص) يسندها إلى الأكفاء المؤهلين من مختلف القبائل، ولوأُعطي هذا الجانب من السيرة النبوية حقه من الدراسة، لتجلت لنا وللبشرية روعة تعاليم الإسلام، وعظمة القيادة النبوية.

إن قائمة أمراء الجيوش والسرايا، وكذلك السفراء المبتعثين للملوك والزعماء، والشخصيات التي عينها الرسول (ص) في مواقع القضاء والمسؤوليات الدينية، هذه القوائم حين نفحصها نرى التنوع في الانتماء القبلي والمناطقي لأشخاصها.

وبعض التعيينات كانت تشكل صدمة و إثارة للرأي العام الذي

كان يعاني من رواسب الحقبة الجاهلية، لكن رسول الله (ص) كان حازمًا في تحقيق مبدأ الشراكة واحترام الكفاءة.

ففي يوم فتح مكة أمررسول الله (ص) بلالًا الحبشي الأسود، الذي كان عبدًا يباع ويشترى في مكة، وأوقع به أسياده القرشيون صنوف الإهانة والتنكيل، حتى أغروا صبيانهم وسفهاءهم أن يقتادوه بحبل ليسخروا منه ويؤذوه، هذا الرجل اختاره رسول الله (ص) ليكون أول مؤذن على ظهرالكعبة، مما أثارحفيظة الكثيرمن القرشيين، حتى قال أحدهم لصاحبه: لقد أكرم الله أبي أن مات وألا يكون سمع هذا!! وكان الحارث بن هشام وصفوان بن أمية قاعدين فقال أحدهما للآخر: انظرإلى هذا الحبشي!! فقال الآخر: إن يكرهه الله يغيّره.[1]

وحينما عين رسول الله (ص) زيد بن حارثة وهو عبد اشتراه حكيم بن حزام ثم وهبه لعمته خديجة بنت خويلد، فوهبته لرسول الله (ص)، عينه رسول الله (ص) على رأس جيش المسلمين إلى الروم في غزوة مؤتة إلى جانب جعفرالطياروعبدالله بن رواحة، اعترض البعض على هذا التعيين، فردّ عليهم رسول الله (ص)، ثم عين ولده الشاب أسامة ابن زيد على رأس آخربعث عسكري له (ص)، وجعل تحت إمرته كبارالمهاجرين والأنصار.

قال ابن سعد في الطبقات: لما كان يوم الإثنين لأربع ليال من

١- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣ ص٢٣٥.

صفرسنة إحدى عشرة للهجرة، أمررسول الله (ص) الناس بالتهيؤ لغزوالروم، فلما كان من الغد دعا أسامة ابن زيد فقال: سرإلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل، فقد وليتك هذا الجيش فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأولين والأنصارإلا انتدب في تلك الغزوة، فيهم أبوبكرالصديق، وعمرابن الخطاب، وأبوعبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص فتكلم قوم وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين؟ فغضب رسول الله (ص) غضبًا شديدًا، فخرج وقد عصب على رأسه عصابة، فصعد المنبرفحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة، ولئن طعنتم في إمارتي أسامة لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله! وأيم الله إن كان للإمارة لخليقًا و إن ابنه من بعده لخليق للإمارة[1]

نهج الوحدة والحضارة

هذا النهج الوحدوي الذي اعتمده رسول الله في بناء الأمة، بتركيزالهويّة المشتركة، وهي الإسلام، لتكون فوق سائرالهويّات والانتماءات، والتي لم يتنكرالإسلام لوجودها، كالقبيلة والوطن والقوم، و إنما حارب التوجهات السلبية فيها، وضخّ في المجتمع الجديد ثقافة وحدوية، تعالج آثارالمفاصلة القبلية السائدة، وكذلك

١- المصدرالسابق، ج٢ ص١٩٠.

الحرص على تحقيق الشراكة الاجتماعية بين مختلف الأطراف في البناء واتخاذ القرار و إدارة الأمور. هذا النهج هو ما يؤدي إلى الوحدة الحقيقية، وهو ما يؤهل المجتمع للرقي الحضاري.

وما تنتهجه الآن المجتمعات الغربية المتقدمة، من اعتماد الوطن كهويّة مشتركة، ومن احترام التنوع في مجتمعاتها، وتجريم الطروحات العنصرية، والممارسات التمييزية بين المواطنين، وتحقيق الشراكة والمشاركة عبر النظام الديمقراطي، إنما يمثل إدراكًا لأفضل سبل التقدم والحضارة التي سبق إليها الإسلام بقرون، ومع تلافي الكثير من الثغرات والسلبيات التي تعاني منها الحضارة الغربية.

والمسلمون اليوم هم الأولى بمثل هذا النهج السليم، النابع من تعاليم دينهم، والمنسجم مع تاريخهم وثقافتهم الأصيلة.

المنهج النبوي في معالجة الفتن

أسعد السحمراني*

إن هـذا البحـث تمليـه ظـروف وأحـداث تمـرّبهـا الأمـة العربيـة والإسلامية حيث يخطط الأعداء للنيل مـن وحـدة أبنـاء الأمـة، وقـوتهم واسـتقرارهم، بـزرع الفـتن والشـقاق، ونشرالتنازع والاقتتال، ولا يخفى على الغيورعلى دينه ومجتمعه أن قـوى الاسـتعماروالاحـتلال والغطرسـة الصـهيوأمريكية تعمـل تحـت عنـاوين: "العولمـة" و"الشـرق الأوسـط الجديـد أو الكبيـر" و"حريـة الأقليـات" و"الحريـات الدينيـة"؛ ولكـن هـذه العنـاوين جميعًـا تعمـل لمقصـد واحـد هـو تفتيـت المسـلمين وأوطـانهم إلى كيانـات طائفيـة ومذهبية وعرقية يتمكنون من السيطرة عليها.

ويهـدف البحـث إلى الوقـوف علـى الأسـلوب النبـوي فـي معالجـة الفتن ووأدها ليكون ذلك عملًا يؤصل لمنهج نحتاجه في أيامنا هذه.

---

* - أستاذ العقائد والأديان في جامعة الإمام الأوزاعي.

الفتنة شروالوحدة رحمة

إن الله سبحانه وتعالى أمر المؤمنين بالوحدة والأخوة والتآلف لأن ذلك رحمة تصون المجتمع، وتقوي أواصره، وتحقق استقراره، وبالمقابل فقد نهى الله تعالى عن الفتنة، ونبه من مخاطرها وشرورها. فالفتنة في النص القرآني مذمومة، وشرها مستطير، وقد قال الله تعالى: ﴿الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾[1] والفتنة أشد من القتل وفي آية أخرى: ﴿الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾[2]، وفي آية قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[3]

والفتنة لغة عند ابن منظور: "جِماعُ معنى الفتنة الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصلها مأخوذ من قولك، فتنت الفضة أو الذهب إذا أذبتها بالنار لتميز الرديء من الجيّد، وفي الصحاح: إذا أدخلته النار لتنظر ما جودته. والفتن: الإحراق. ويسمّى الصائغ: الفتّان، وكذلك الشيطان، ومن هذا قيل للحجارة السّود التي كأنها أحرقت بالنار: الفتين. ابن الأعرابي: الفِتنة: الاختبار، والفتنة: المحنة، والفتنة: المال، والفتنة: الأولاد، والفتنة: الكفر، والفتنة: اختلاف الناس بالآراء، والفتنة: الإحراق بالنار؛ وقيل: الفتنة في التأويل الظلم."[4]

١- سورة البقرة، الآية ١٩١.

٢- سورة البقرة، الآية ٢١٧.

٣- سورة الأنفال، الآية ٢٥.

٤-ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، م١٣، بيروت، دار صادر، ص٣١٦.

إن وحدة الأمة موقفًا وصفًا ومسارًا حضاريًا يولد القدرة على الإنجازوصون الدين والأرض والمقدسات والحقوق والكرامات، أما الفرقة التي تؤدي إليها الفتنة فهي التي تُذهِب الريح والقوة، وتجلب الخذلان والخواء والذلّة، والكل معرّض للاختبارفمن تأصل يقينه ورسخ إيمانه يفوز، ومن اخترق الشيطان الفاتن قلبه وفكره أودى به ذلك إلى شرورشررها يتطايرفيحرقه مع من حوله.

الفتنة ووأدها في المنهج النبوي

لقد حذررسول الله (ص) وآله وصحبه من الفتنة لأنها تهدد المجتمع بوحدته واستقراره، وتراحم أهله وتوادّهم، ولأن فعلها أكبر من القتل والسلاح.

وقد وردت أحاديث[1] عديدة في ذم الفتنة والنهي منها: «إيّاكم والفتن فإن اللسان فيها كوقع السيف» (أخرجه ابن ماجه في السنن)، وأخرج أبو داود حديثًا نصه: «ستكون فتن صمّاء، بكماء، عمياء، اللسان فيها كوقع السيف». وأخرج أبو داود كذلك: «ستكون فتنة تستنظف العرب[2] قتلاها في النار، اللسان فيها أشدّ من وقع السيف».

١- الأحاديث الواردة حوتها: مجموعة الاحاديث النجدية، المدينة المنورة، المكتبة السلفية، ط٣، سنة ١٣٨٣هـ

٢- تستنظف العرب: تستوعبهم هلاكًا.

هذا التحذير من الفتن جاء يبيّن مخاطر الفتنة، وأن أثرها على المجتمع والفرد أكثر إيلامًا من وقع السيف القاطع، وأن الفتنة صماء بكماء وعمياء؛ أي أنها ظلمة وجهل لأن الفتنة لا تكون مع الوعي والحكمة. والفتنة تشمل بخطرها كل أهل المجتمع، وتؤدي إلى هلاكهم (تستنظف العرب)، وهذا ما لفتت إليه الآية الكريمة: ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

إن الفتن تهدد المجتمع بأكمله، وهي كَكُرة اللهب إذا تدحرجت لا تبقي ولا تذر، وهذا الويل الذي تجرّه يوجه إلى ضرورة المعالجة بالسرعة الكافية لأن التباطؤ في وأد الفتنة ينذر بشرور داهمة.

لقد مارس رسول الله(ص) في معالجة الفتن أساليب تحدد المنهج النبوي في مثل هذه المواقف. والبحث سيعرض واقعتين حصلتا في العهد النبوي تبرزان كيف يسعى بالفتنة بين المؤمنين نوعان: عدو من خارج المجتمع أو منافق من داخل المجتمع.

الواقعة الأولى هي من عدو خارجي هو شاس بن قيس اليهودي من يهود المدينة المنورة، أراد أن يزرع فتنة بين قبيلتي الأوس والخزرج - أهل المدينة - عندما وجد أن القبيلتين قد ألّف الله تعالى بين قلوب أبنائهم، وأصبحوا بنعمة الله تعالى أخوانًا. والواقعة أن شاس بن قيس أرسل - وهو حاخام - معاونًا له ليجالسهم ويذكّرهم بما كانوا عليه

من الاقتتال والعصبية في الحقبة الجاهلية قبل الإسلام بغرض تجديد التنازع. عن عكرمة وابن زيد وابن عباس: الذي فعل ذلك شاس بن قيس اليهودي، دسّ على الأوس والخزرج من يذكّرهم ما كان بينهم من الحروب، وأن النبي (ص) أتاهم وذكّرهم، فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان، وكيدٌ من عدوّهم، فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا، وعانق بعضهم بعضًا، ثمّ انصرفوا مع النبي (ص) سامعين مطيعين.[1]

وقد نزل في ذلك قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾

إن شاس بن قيس من قبيل من الناس تترسخ العنصرية في فكره ومشاعره، وممن يدّعون أنهم الشعب المختارلذلك كانوا ولا يزالون من عشاق الحروب والقتل، يغيظهم أن يكون المجتمع مستقرًا، وأن يعيش الناس بسلام وأمان. هذا ما تشهده الأمم في يومنا هذا حيث تطرح القيادات الأمريكية المتصهينة في واشنطن ما يعرف بالفوضى الخلاّقة، وهم لهذه الغاية يوظفون الطاقات لإثارة الفتن بمختلف ألوانها وأنواعها عرقيًا وطائفيًا ومذهبيًا وسياسيًا، لأنهم يجدون سعادتهم في رؤية سواهم يقتتل، والدماء تراق وهذا يذكرنا كيف أن شاس بن قيس قد تجددت شخصيته في كثيرين من

١- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٤، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٨٧، ص١٥٥.

ملتزمي المشروع الصهيوأمريكي، وقد أدت فتنهم إلى ما وقع أو يعملون لحصوله في بعض المواقع والمناطق.

ومعالجة فتنهم لا تكون بغير الإيمان بلا تعصّب، الإيمان العاصم من الشرور، ففي سماحة الدين والرحمة والحب الدواء الناجع الذي يطفئ فتنهم وحروبهم، والذي ينشر الفضيلة التي تعطل مفاعيل مفاسدهم. قال الله تعالى عن يهود: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

كما فعل شاس بن قيس الحاخام اليهودي في المدينة حيث سعى مع أحد أتباعه لفتنة تبعث اقتتالًا بين الأوس والخزرج، كذلك ديدن هذه الفئة الباغية من الناس فهي تعمل دومًا بالاتجاه نفسه، وهو ما نراه هذه الأيام. وإذا كان الرسول قد نهض بسرعة لمنع الاقتتال ولوأد الفتنة، واستخدم الخطاب التذكيري كذلك الواجب -اليوم- يفرض على علماء الأمة، وأهل الرأي أن يقتدوا برسول الله فيهبوا على قلب رجل واحد لنشر روح التآخي بين المسلمين جميعًا ولنزع فتيل الفتنة الذي يؤججه الصهيوأمريكي، وبعض الغلاة والملتزمين نهج التعصب والفئوية لأن الوحدة مقصد شرعي، وأساس إسلامي، وضرورة دينية ووطنية في كل بلد ومصر.

فالإسلام ألف بين القلوب ورسول الإسلام عالج فتنة أُثيرت، ويهودي هو شاس بن قيس بعث فتنة؛ هذه معادلة ما حصل في العهد النبوي.

فهل سيمشي العلماء الغيارى من أهل الأمة على أساس أن الإسلام يقوم على قاعدة: «عقيدة التوحيد، وتوحيد الكلمة». هل سيمشون دعاة هداة إلى هؤلاء وهؤلاء كي يمنعوا دسائس الصهيوأمريكي؟.

واقعة أخرى كادت أن تحدث فتنة لكن هذه المرة كان وراءها منافق من داخل الصفوف هو عبد الله بن أبيّ بن سلول. الواقعة كانت يوم غزوة بني المصطلق من خزاعة التي حصلت في شهرشعبان من العام الخامس أو السادس للهجرة.

إن غزوة بني المصطلق وما حصل بعدها تحمل مجموعة عبر ولطائف هي:

١- الغزوة حصلت عندما تجمع القوم عند ماء المريسيع، فالماء يعدّ المرفق الاقتصادي الأهم في المناطق الصحراوية، وبعد هزيمة بني المصطلق حصل ما حصل لأن الناس تدافعوا طلبًا للماء، وهذا درس مهم في أمرالحروب والمقاومة حيث يجب أن يكون الاقتصاد في الحساب مما يقود إلى ضرورة اعتماد الأساليب الوافية بتجفيف منابع اقتصاد العدو، وفي أيامنا هذه مقاطعة بضائع الأعداء وفرض الحصارعليهم، فإضعاف الاقتصاد يؤدي إلى إضعاف الإمكانات، ومنها الجانب العسكري.

وهذه الصيغة مهمة وقد جاءت قرآنًا كريمًا بلسان موسى عليه السلام عندما طلب موسى التأييد الإلهى ضد فرعون وقومه ففي

الآية: ﴿ربنا اطمس على أموالهم﴾

ويوم أراد مشركو قريش أن يضيّقوا على رسول الله وصحبه قبل الهجرة في مكة المكرمة حاصرهم في شعب لأبي طالب، ومنعوا عنهم التواصل والتبادل الاقتصادي. وأبو جهل كان يقصد من دخل في الإسلام من أهل قريش متوعدًا ويقول له: "لنكسدنّ تجارتك، ولنهلكنّ مالك."

٢- إن العصبية أمر خطير، ومسلك وعر لذلك نهى عنها الإسلام، وذمّها، وحذّر منها، والعصبية هي انتصار الشخص لقومه على الظلم، والعصبية والفئوية منبع الفتن التي تهلك الحرث والنسل. فما من مرة تبرز فيها عصبية إلا قاد ذلك إلى التنازع والخصام والاقتتال، ومن وقائع غزوة بني المصطلق يظهر ذلك جليًا. فعندما طلب كل واحد من المتدافعين جهجاه الغفاري وسنان الجهني التأييد والنصرة من قومه ثارت حمية وعصبية لا تلائم روح الإسلام فإذا بها تبعث فتنة، وتترك فرصة لمنافق من داخل الصفوف هو عبدالله بن أبيّ بن سلول كي ينفث سمومه، ويذر قرنه لأن الشيطان الفاتن قد هيّأ له المناخ.

الدرس في هذه النقطة هو أن ينتبه كل فرد مؤمن لكلامه ومواقفه، وألا يدع العصبية أيًّا كانت رابطتها (مذهبية – طائفية – عرقية – قبلية. الخ) تفعل فعلها في نفسه لأن العصبية مع الغضب تترك لشياطين الإنس المجال واسعًا لزرع الفتنة، وتترك المنافقين القابعين داخل الصفوف فرصة تنفيذ مؤامراتهم. وإذا كانت فتنة

شاس بن قيس وافدة من عدو من خارج، فإن فتنة ابن أبي سلول قد بعثها منافق صاحب هوى من داخل. إن ظروف أمتنا اليوم تحتاج أن نأخذ العبرة كي نواجه كل دافع للفتنة أكان من داخل الصفوف، أو من خارج الأمة، وما ذلك إلا لأن الوحدة قوة ورحمة وسبيل إلى الفوز والفلاح والإنتصار، والفرقة ضعف وخذلان وسبيل إلى الهزيمة والإنكسار وضياع الحقوق.

٣- درس مهم في حفظ وحدة المجتمع، ووحدة الأمة أنه درس الحِلم والصبر على الأذى الصادر من قبل بعض المنافقين وأصحاب الأهواء، لأن حفظ الوحدة يحتاج للصبر لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

هذا ما أكد عليه رسول الله عندما قال له عمر بن الخطاب: "يا رسول مُربه عباد بن بشر بن وَقَشْ فليقتله". فأجابه الرسول: "فكيف يا عمر إذا تحدث الناس: أن محمدًا يقتل أصحابه؟". إن الحفاظ على وحدة الصف تستلزم التضحية والتحمل والحِلم، والتجاوز عن أخطاء تحصل ممن هم داخل الصفوف لأن الاقتصاص أو الانتقام من واحد داخل الصفوف سيحدث بلبلة، ويدفع مسار العلاقات باتجاه لا تحمد عقباه. وهذا درس تحتاجه مجتمعات الأمة وأوطانها حيث نشأت مجموعات يصدر عنها أمور في غير الصالح العام نتيجة جهل أو عصبية أو ولاء للأجنبي أو غير ذلك، وهذا الأمر يحتاج لمعالجات حكيمة تحفظ وحدة الكلمة والصف.

٤- "ولكن أذّن بالرحيل"؛ أمرتوجه به الرسول إلى عمربن الخطاب، واستغرب الجميع الموقف، فالوقت ليس وقت رحيل، ولكن حدّة الموقف، وحالة الانفعال التي سادت بعد تدافع جهجاه الغفاري وسنان الجهني، وبعد أن تلقف المنافق ابن سلول الواقعة ليثير فتنة بين المكونين الأساسيين لجماعة المسلمين يومها: المهاجرين والأنصار. وهذا درس مهم في علم القيادة حيث حكمة القائد تقتضي إذا تقابل القوم واحتدم الموقف أن ينتقلوا من المكان لتغيير الأجواء فالجغرافيا لها تأثيرفي توليد المناخات، وهنا المكان عند الماء هو مكان غزوة وبعده تدافع واحتقان في المشاعر، ولا بدّ من الانتقال فالسيريشغل، والانتقال يبعد الناس عن حالات التوتير، وبذلك بدأت غيوم متلبدة بالإنقشاع.

٥- عبدالله بن عبدالله بن أبيّ بن سلول دخل في الإسلام وحسن إسلامه، ومعروف عنه قبل الإسلام في المدينة سلوكه في برّوالديه، وعندما علم بالواقعة قصد رسول الله راجيًا أن يأذن له بقتل والده لما بدرمنه من دعوة للفتنة حتى لا يسبقه إلى قتله أحد من المسلمين فيكون في نفسه شيء عليه يدفعه لاحقًا للانتقام من أخ له في الدين فبذلك يكون قد قتل مؤمنًا بكافرأو منافق.

هذا موقف نبيل وقفه عبدالله الذي قدّم إسلامه ووحدة صفوف المسلمين على الأنا فوصل به الموقف إلى حدّ الاستعداد لقتل أبيه مقدمًا العام على الخاص.

وقد بادله الرسول موقفًا يحتاجه كل قائد في مثل هذه الحالات حيث أجابه(ص) قائلًا: «بل نُرفِق به، ونُحسن صحبته ما بقي معنا» هذا موقف ينبع من مبادئ الإسلام السمح الحنيف إنه مبدأ الرحمة الذي يُعدّ أبرزمرتكزفي الإسلام وقد جسّده نبي الرحمة في كلّ قول وفعل وتقريرسنّة ماضية في أتباع الإسلام.

واليوم ونحن نمرّبظروف معقدة متشابكة فيها الهموم والمشكلات والنزاعات، ومتعددة فيها التحديات نحتاج داخل المجتمع أن نعمد إلى الرفق في الأمر كله بعيدًا من الغلوّ والتطرف، وأن نعمل في علاقتنا بقاعدة حُسن الصحبة كي تحصل الإلفة، وتترسخ الأخوة لنحفظ وحدة المجتمع، ونئد الفتن فبالوحدة ننتصر، وبالإلفة تتعانق القلوب والمشاعرقبل الهامات والأبدان فيتحول أهل الأمة صفًا كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضًا.

٦- تنتهي واقعة غزو المصطلق، وما ترافق معها من إجراءات إلى قول عمر: «قد والله علمت، لأمررسول الله أعظم بركة من أمري». وهذا ما يحتاجه كل مسلم في أيامنا أيًّا كان بلده أو مذهبه، أو فلسفته، أو سياسته، أو اختصاصه، أو مهنته وعمله، لأن تأصيل السلوك والقول على أسس المنهج النبوي في السيرة النبوية الشريفة يوصل إلى شاطئ الأمان، ويسهم في معالجة كل المشكلات وفق القواعد السليمة، وبشكل خاص معالجة أمرالفتن ما ظهرمنها وما بطن، وما يثيرمنها شياطين الإنس من داخل الصفوف، أو ما يزرعه الأعداء الطامعون بالأمة وقدراتها.

خاتمة:

استقبلنا السنوات الأولى من القرن الحادي والعشرين، والمؤامرة الاستعمارية الصهيوأمريكية تستهدف الأمة العربية والإسلامية في كل الميادين: الأرض والمقدسات والاقتصاد والأجيال، وقبل ذلك الإسلام الذي لم يتورعوا عن إطلاق تهمة الإرهاب عليه شريعة وفقهًا ومسلمين.

يعمل هؤلاء مواصلين عدوانهم وجرائمهم من فلسطين والقدس والمقدسات في قلب الأمة إلى سائرأرجائها، لأنهم يرون الإسلام والمسلمين، وفي قلبهم العرب، عقبة في طريق مشاريعهم في الاغتصاب والاحتلال والسيطرة والنهب والإفساد، ومؤامراتهم تستهدف وحدة الكلمة والصف وزرع الشقاق والإنقسام والفتن بمسميات وألوان متعددة، لأنهم يرون في ذلك انتصارًا لمشاريعهم وتحقيقًا لأطماعهم، فما يهدفون إليه لا يستطعون تحقيقه مع الوحدة. لذلك نحتاج إلى التأكيد بأن المسلمين جميعًا عليهم واجب التزام قاعدة أساسية في الإسلام هي أن الإسلام قام على «**عقيدة التوحيد وتوحيد الكلمة**».

رسول الإسلام خط أحمر . . .

عبد الباري عطوان

أقيم في بريطانيا منذ ٣٥ عامًا، ولا أجرؤ أن اكتب كلمة واحدة، أشكك فيها بالمحرقة أو بعدد قتلاها، أو أسيء للديانة اليهودية ومعتنقيها، لأن جميع القوانين الأوروبية لا تتسامح في المسألة الأولى، أي المحرقة، وتجرّم كل من يقترب منها نافيًا أو مشككًا. أما من يتعرض لليهود فتهمة معاداة السامية جاهزة، وتترتب عليها حملات تشويه إعلامي ومقاطعة أكاديمية، ومطاردة في كل ندوة أو مؤتمر، ولديَّ ملف كامل لما تعرضت له شخصيًا.

التعرض للإسلام والمسلمين ،والرسول صلى الله عليه وسلم على وجه الخصوص، أمر مباح ولا يشكل أي خرق للقانون، ويتحوّل من يقدم عليه إلى بطل تنهال عليه العروض والأوسمة، ويتمتع بحماية كاملة من الشرطة، باعتبار التطاول على الإسلام أهم تجسيد لحرية التعبير.

لا يمرّ عام دون أن نجد انفسنا غارقين في دوامة جديدة من

الإهانات والتطاول على المقدسات الإسلامية، في البداية كانت آيات الكاتب الهندي سلمان رشدي الشيطانية، ثم الرسوم الكارتونية، وقبل عام تراجيديا القس تيري جونز، الذي اراد حرق نسخة من القرآن في باحة كنيسته.

الحكومات الغربية جميعا، والأمريكية على وجه الخصوص، تابعت ردود الفعل الإسلامية الغاضبة، والضحايا الذين سقطوا برصاص قوات الأمن التي حاولت السيطرة عليهم، كما شاهدت الهجمات التي تعرضت لها بعض سفاراتها، والمواطنين الغربيين الأبرياء الذين خطفوا أو قتلوا انتقامًا، ومع ذلك لم تحرك ساكنًا. هذه الحكومات التي تدعي التقدم والحضارة وتملك عشرات المعاهد ومراكز الأبحاث، ،الأمريكية منها على وجه الخصوص، أثبتت درجة من الغباء وعدم القدرة على فهم ما يجري في المنطقة العربية غير مسبوقة، علاوة على كونها تستعصي على الفهم.

جميع الانتخابات الحرة والنزيهة التي جرت في دول اطاحت فيها ثورات الربيع العربي بديكتاتوريات قمعية دموية تتوجت بفوز الإسلاميين بغالبية المقاعد البرلمانية في مصر وتونس وليبيا (فاز برئاسة البرلمان محمد المقريف المدعوم من الإسلاميين)، أي ان المناخ العام هو الميل نحو الإسلام السياسي، ومع ذلك تسمح الإدارة الأمريكية، التي تملك أجهزة أمن واستخبارات هي الأقوى في العالم، بإنتاج فيلم مشبوه للإساءة للإسلام ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

فيلم عبارة عن وصفة متفجرة لكل الأحقاد على الإسلام، فمنتجوه يمثلون جماعة قبطية متطرفة حاقدة تريد إشعال فتنة طائفية في مصر، ومخرجه إسرائيلي، وداعمه القس تيري جونز صاحب جريمة حرق القرآن. فماذا يتوقعون بعد بثّ هذا الفيلم غيرالاحتجاجات، واقتحام السفارات وارتكاب أعمال قتل للدبلوماسيين العاملين فيها؟...

نرفض رفضا مطلقًا أن تستخدم أمريكا أي كلمة عن التطرف الإسلامي، لأنها تتبنى هذا التطرف عندما يتناسب مع أهدافها ومصالحها في المنطقة، وتعاديه عندما يتعارض معها...

مللنا من هذا النفاق الأمريكي المفضوح، يدّعون دعم الثورات العربية من أجل الكرامة وحقوق الإنسان والديمقراطية، ثم يغضون النظر، بل يوفرون الحماية لكل من يتطاول على الإسلام والمسلمين. الرئيس الأمريكي باراك أوباما أرسل البوارج الأمريكية وفرق المارينز إلى ليبيا لحماية السفارة الأمريكية، لعدم وجود قوات أمن ليبية محترفة ومدربة للقيام بهذه المهمة، بل وهدد بأعمال انتقامية ضد من يقتحمون السفارة الأمريكية، لأن هذا يعني إعلان حرب وفق الدستورالأمريكي. نسأل لماذا لم تساعد أمريكا ليبيا في تأسيس جيش قوي وقوات أمن محترفة؟

بمجرد أن تأكد الأمريكان والفرنسيون والبريطانيون من إسقاط النظام الديكتاتوري وضمان تدفق النفط بمعدلاته

الطبيعـية إلى مصافيهم اختفوا كليًا من المشهد، ولم يعقدوا اجتماعًا واحـدًا لأصدقاء ليبيا لبحث كيفية إعمار البـلاد وبناء مؤسساتها، فقط عقدوا اجتماعات سرّية حول كيفية تقسيم كعكة الأموال وعوائد النفط الليبي فيما بينهم.

الإدارة الأمريكية أرسلت الخبراء إلى العالم الإسلامي بعد غزو العراق لمعرفة أسباب كراهية المسلمين، وأنفقوا مليارات لتحسين صورتهم، وأسسوا محطات تلفزة (الحرة) وعدة محطات راديو (سوا)، ومع ذلك ظلت هذه الصورة سيئة، ولم تتحسن قليلا إلا بدعم واشنطن، وبصورة انتقائية، لبعض الثورات العربية، وها هو هذا الحب ينهار، وتعود الصورة إلى قتامتها مع السماح بإهانة الرسول الكريم في هذا الفيلم البائس، مشروع الفتنة في العالم الإسلامي. إصرارنا على ضرورة احترام الدين الإسلامي ورموزه، لا يعني تأييدنا لاقتحام السفارات الأمريكية وحرقها، لأننا نؤمن بالاحتجاج السلمي الحضاري والالتزام بكل القوانين التي تحكم العلاقات الدبلوماسية بين الدول والحكومات، وعلى رأسها تأمين الأمن والحماية للسفارات.

هناك العديد من النظريات التآمرية، وبعضها يقول إن هناك من يريد خلق المشاكل للرئيس باراك أوباما، وعرقلة حملته للفوز بولاية ثانية في الانتخابات المقبلة، هذا شأن أمريكي داخلي، وما يهمنا هو وقف هذه الإساءات المتعمدة والمتكررة لأكثر من مليار ونصف المليار مسلم.

باختصارشديد لقد طفح كيل الإهانات والإذلال التي يتعرض لها العرب والمسلمون على أيدي الأمريكان وحلفائهم الإسرائيليين، ولا بدّ من وقف هذه الإهانات فورًا، و إصدارقوانين تجرّم كل من يسيء إلى الدين الإسلامي، وكل الأديان الأخرى، فهناك فرق شاسع بين حرية التعبيروحرية الإساءة.

* * *

شاهدت الفيلم.. وهذه انطباعاتي

بعد تردد طويل، قررت أن اشاهد مقاطع من فيلم الفتنة الذي يسيء إلى الإسلام والرسول محمد صلى الله عليه وسلم، واعترف بأنني شعرت بالاشمئزاز والتقيؤ لما احتواه من تهجم رخيص، ولم أكن أتصور أن هناك إنسانًا يمكن أن يقدم على مثل هذا العمل، بغض النظرعن حجم أحقاده على هذا الدين الحنيف ورسوله، الذي يجسد رمزالتسامح والإيمان واحترام ديانات الآخرين وأنبيائها جميعًا، الذين هم أنبياؤنا ايضا.

لا أريد أن أكررهنا البذاءات، والتطاول الهابط، خلقًا وفنًا، لهذا الفيلم المفبرك المستفز، وأنا متأكد أنه لو شاهده الملايين من المسلمين في مختلف أنحاء العالم لكان رد الفعل الغاضب الذي شاهدناه.. من اقتحام للسفارات الأمريكية وحرقها مجرد نزهة، واحتجاج ناعم.

مَنْ أنتجوا هذا الفيلم يعرفون ماذا يفعلون، وخططوا للفتنة جيدًا،

وتوقعوا ردود الفعل الإسلامية والعربية الغاضبة، لأنهم درسوا النفسية الإسلامية، وحساسيتها تجاه هذا الأمر، مثلما وعوا جيدًا مكانة الرسول لدى مليارونصف المليارمن أتباعه في مختلف أرجاء المعمورة. الفتنة التي أرادوها، والضررالذي خططوا لإلحاقه بالعالم الإسلامي ارتدّ عليهم، وعلى الولايات المتحدة الأمريكية حاضنتهم، وعلى دبلوماسييها وسفاراتها في مختلف أنحاء العالم.

فإذا كان هدف هذه الفتنة إحداث شرخ وصدامات بين المسلمين والمسيحيين في مصروبلدان عربية أخرى، فما حدث هو العكس تمامًا، وشاهدنا الأشقاء المسيحيين يتقدمون المظاهرات الاحتجاجية أمام السفارات الأمريكية، جنبا إلى جنب مع أشقائهم المسلمين، ولا نبالغ إذا قلنا ان بعضهم كان أكثرغضبًا واستياءً. **ومن المفارقة أن هذا الفيلم المسيء والمقزز وحّد جميع أبناء الطوائف الإسلامية، وأزال الخلافات والانقسامات التي استفحلت بينهم في الأشهرالأخيرة، على ارضية الأزمة السورية، والخلاف مع إيران. وكان لافتًا أن العراقيين الأكثرانقسامًا، نزلوا إلى الشوارع، سنة وشيعة، للتعبيرعن غضبهم ضد الولايات المتحدة التي من المفترض أن تكون قد «حررتهم»! من الديكتاتورية.**

أحد حراس القنصلية الأمريكية في بنغازي قال عندما سئل عن عدم دفاعه عنها والتصدي للمهاجمين الذين اقتحموها وقتلوا السفير وثلاثة من الدبلوماسيين الآخرين، إنه كان متعاطفا مع هؤلاء، و إنه عندما يكون خياره بين المهاجمين المسلمين الغاضبين المحتجين على

إهانة الإسلام والسفير الأمريكي وقنصليته، فإنه سيختار أشقاءه المسلمين، لأن ولاءه الأول والأخير للرسول، وليس للقنصلية وسكانها. ردة الفعل البسيطة العفوية هذه لا تفهمها السيدة هيلاري كلينتون، ولا معظم مراكز الأبحاث والدراسات التي تزعم فهمها لشؤون الإسلام والشرق الأوسط، ولهذا كان استغرابها من ردة فعل الليبيين الذين «حررتهم»! قوات وطائرات بلادها وهجوم بعضهم على القنصلية مستغربًا أيضًا.

المسلمون شبعوا إهانات ولطمات حتى تورمت خدودهم، فتارة رواية، وتارة ثانية رسوم كارتونية، وثالثة حرق كتابهم المقدس، ورابعة التبول على جثامين قتلاهم وشهدائهم، وخامسة احتلال أراضيهم، وسادسة دعم تهويد أقصاهم، وسابعة الاعتراف بالقدس المحتلة عاصمة لدولة غاصبة محتلة فاجرة.

نأسف لوقوع قتلى بسبب الأحداث الدموية وردود الفعل الغاضبة، مثلما نشعر بالحزن والألم لاقتحام سفارات يجب أن تكون آمنة ومحمية وفق العهود والمواثيق الدولية، ولكن أليس احتلال الدول وقتل مئات الآلاف من أبنائها انتهاكًا لهذه المواثيق أيضًا؟ نحن لا نبرر القتل، ولا نشجع الفوضى، ونطالب بأن تكون الاحتجاجات سلمية وحضارية في الوقت نفسه، ولكن كيف يتأتى ذلك عندما يكون جرح الإذلال عميقًا غائرًا نازفًا، ويكون أهله من المؤمنين البسطاء المسحوقين الذين لا يجدون لقمة العيش لأطفالهم؟ **أليس من اللافت للنظر أن أعنف الهجمات على السفارات الأمريكية وقعت في عواصم دول تحررت من الديكتاتوريات**

وانتخبت حكومات إسلامية، تعبيرا عن استيائها من سنوات القهر والهوان على يد حكام مدعومين من الولايات المتحدة الأمريكية مثل الرئيس المصري حسني مبارك والتونسي زين العابدين بن علي؟

هذا الفيلم البذيء، سيىء الإخراج والتمثيل، ربما يؤدي إلى صياغة جديدة لمفاهيم قديمة حديثة، وتحالفات جديدة، ويضع قوى حاكمة امام اختبارات صعبة للغاية، وهي التي ما زال عودها طريًا، وأيامها في الحكم معدودة، وما زالت تتحسس طريقها وسط حقل من الألغام شديدة الانفجار، بعضها أمني، وآخر اقتصادي، وثالث عقائدي.

لا أحد يستطيع أن يتنبأ إلى أين ستتطور الاحتجاجات، ومتى تتوقف، وحجم الخسائر السياسية والاقتصادية المترتبة عليها، ولكن ما يمكن التنبؤ به أن العالم الإسلامي لم يعد يسكت على الإهانات، فالشعوب الإسلامية يمكن أن تتحمل الجوع والبطالة، بل وحتى الحكام الديكتاتوريين الفاسدين، ولكنها لا يمكن أن تتحمل التطاول على دينها وعقيدتها ورسولها وصحابته الكرام. وسط زلزال الكرامة هذا الذي يجتاح العالمين العربي والإسلامي، وتتصاعد فيه ألسنة اللهب من السفارات الأمريكية والغربية، سيكتشف الحكام الإسلاميون الجدد ضخامة حجم مسؤولياتهم، وسيترحمون على أيامهم في المعارضة، فما أسهل المعارضة!

أمريكا هي الطاعون

عبد الحليم قنديل[1]

العنوان مأخوذ عن شاعر المقاومة الفلسطينية الراحل محمود درويش، كان الشاعر العربى البارز يؤكد أن «أمريكا هي الطاعون والطاعون أمريكا»، ولم يكن التشديد المضاف من فراغ، فقد راح مئات الآلاف من العرب والمسلمين ضحايا للهمجية الأمريكية، وبدت السياسة الأمريكية كوباء قاتل مهلك للحرث والنسل في أوطاننا.

وربما يكون العداء الغالب للسياسة الأمريكية من أبرز القواسم المشتركة بين شعوبنا، وهو ما يفسر تحرك الناس التلقائي لاقتحام السفارات الأمريكية في القاهرة وبنغازي وصنعاء وتونس، ورغبتهم العارمة في طرد الأمريكيين من سفراء الشر، وهي الرغبة التي بلغت ذراها بحرق القنصلية الأمريكية في «بنغازي»، وأدت ـ ربما دون قصد ـ إلى موت السفير الأمريكي وعدد من أعضاء بعثته اختناقًا بدخان الحرائق، وقد لا يكون قتل السفراء مرغوبًا، وقد يكون الأفضل هو طردهم، وطرد قوات «المارينز» التي ذهبت إلى ليبيا في

---

١ - كاتب ومفكر مصري.

غـزو عسـكري مباشـر، وبـدعوى اعتقـال مهـاجمي القنصـلية الأمريكيـة، وهـو تصـرف أحمـق سـوف يزيـد مـن حـدة العـداء للأمـريكيين، ويسـقط الأقنعـة عـن وجـوه كالحـة تتصـدر المشـهد الليبي الآن .

نعم، كان الفيلم الحقير المسيء للنبي (ص) وأمهات المؤمنين هو السبب المباشر في موجة الغضب الشعبي الأخيرة، وهي ليست غضبة لجماعات بعينها، بل للعرب والمسلمين جميعًا، و إن كان ظهورها أكثر سطوعًا في عواصم الثورات الجديدة، فثمة حريات عامة مكتسبة تسمح بالاحتجاج الظاهر، بينما بدا الاحتجاج مكتومًا في عواصم أخرى، لاتزال في الأسر، ولا يزال حكامها يتعاملون مع المنشآت الأمريكية كأنها الأماكن المقدسة، لا يسمح لأحد بالاقتراب منها أو التصوير، وحتى لو كانت المناسبة تعبيرًا عن غضب من إهانة لحقت بخاتم الأنبياء والمرسلين، هذه الإهانة التي تعاملت معها واشنطن كأنها من حريات التعبير، وتغاضت عن انتاج الفيلم الحقير، وعن عرضه بالتعاون بين جماعات صهيونية والقس تيري جونز (حارق المصحف) وقله شاردة مأفونة من أقباط المهجر، ووفرت أمريكا الحماية لكل هؤلاء، وأتاحت لهم حرية الطعن البذيء في الإسلام وسيرة نبيه الكريم، وبدعوى أن الحكومة الأمريكية لا تتدخل في حريات التعبير، وما دام الأمر كذلك، فمن حق الناس في بلادنا أيضًا أن يعبروا عن غضبهم بحرية، وحتى لو أخذ الغضب صورة اقتحام السفارات الأمريكية، فحرمة السفارات

ليست أقدس من حرمة النبي، و إذا كان بوسع واشنطن تحريك قوات المارينزبدعوى حماية سفاراتها ورعاياها، فإن بوسع العرب والمسلمين، بل ومن واجبهم، أن يدافعوا عن ديارهم ودينهم ونبيهم بأغلى ما يملكون.

ولقد حاولت واشنطن أن تبدو في صورة المناصرللثورات العربية المعاصرة، وجهدت في احتوائها، وفي بناء تفاهمات علنية وسرية مع تيارات بعينها من نوع جماعات الإخوان المسلمين، وتصورت أمريكا أن هؤلاء سيحفظون لها طيب المقام، وأنها استبدلت خدمة الإخوان بخدمة تابعيها الديكتاتوريين المخلوعين، وبدا كأننا بصدد «إسلام أمريكاني» تختلط فيه الصور، ولم تدرك واشنطن، ولاأدرك التابعون الجدد، لم يدرك هؤلاء وأولئك أن القصة لم تنته بعد، وأن الثورات قامت أساسًا ضد الأوثان لتحريرالأوطان والسكان، وأن جمهورالثورات الواسع معاد للسياسة الأمريكية بالجملة، وأن ريح الثورة التي اقتلعت الأوثان لن تغفل عن حرية الأوطان، وأنه لا إمكانية لتنمية حقيقية ولالديمقراطية ناجزة مع بقاء التبعية للأمريكيين، وهذا هوالخطرالمحدق بجماعات الوثنية الجديدة المتخفية وراء مسوح إسلامية، والتي بدت غيرتها على مصالح الأمريكيين أظهرمن غيرة البيت الأبيض نفسه، ورحبت ـ فى ليبيا ـ بقدوم «المارينز» الأمريكي لغزوالبلاد، ولم تطلب ـ في مصر ـ استدعاء السفيرة الأمريكية، ولاسحب السفيرالمصري من واشنطن، وبدت ردود أفعالها في تونس واليمن باهتة جدًا، وراحت

جميعًا تنتقد سلوك المحتجين العرب، وتحملهم المسؤولية عن اضطراب الأمن وتعكير السكينة العامة، وكأن المحتجين ـ وليس واشنطن ـ هم الذين سمحوا بإنتاج وعرض الفيلم الحقير المسيء للنبي والمستهزئ بقداسة الإسلام .

وبالطبع، فإن مكانة النبي (ص) فوق كل الافتراءات والترهات، وانتاج مليون فيلم حقير ضد الإسلام لن يحد من قوته وانتشاره السريع فى أربع جهات الدنيا، فالإسلام هو الدين الخاتم، والنبي محمد (ص) هو المثل الأعظم بإطلاق مراحل التاريخ الإنساني، وعظمة الإسلام ـ فوق امتيازه الذاتي ـ أنه يدعو أتباعه للإيمان بالله وكتبه ورسالاته وأنبيائه جميعًا، لا نفرق بين أحد منهم، والإساءة للسيد المسيح تغضب المسلمين كما تغضبهم الإساءة للنبي، وحين ترتبط الإساءة للنبي باسم أمريكا يتحول الشعور الغاضب إلى عبوة ناسفة، فأمريكا هي التى تدعم وتسلح وتطور كيان الاغتصاب الإسرائيلي لفلسطين، وأمريكا هي التى احتلت العراق وأفغانستان وقتلت الملايين، وأمريكا هي التى تسيطر على ثروات البترول فى المنطقة، وهي التي تنشر قواعدها العسكرية بامتداد أراضينا وسواحلنا، وأمريكا هي التي تحتل قرار مصر ـ أكبر الدول العربية ـ منذ عقد ما يسمى معاهدة السلام، وهي التي تضعف الجيش المصري، وتنشر فيروس الخراب في كيان الدولة المصرية باسم المعونة، وجهاز المعونة تحول إلى سلطة انتداب، وهي التي دمرت ـ عبر وكلائها ـ قلاع التصنيع المدني والإنتاج الحربي في مصر، وقد لا

يتسع المقام لشرح أو حتى مجرد ذكر عناوين الشرور الأمريكية، فالعلة ظاهرة دون احتياج لمزيد من الشروح، والغضب الحالي من **الفيلم الحقير يحمل معنى الرفض للهيمنة الأمريكية على قرارنا ومقدراتنا، لا ندعو - بالطبع - إلى قتل السفراء الأمريكيين، بل إلى طرد النفوذ الأمريكي من بلادنا، ورفض معونات الأمريكيين المسمومة، وإزالة قواعدهم العسكرية، ومقاطعة بضائعهم ومنتجاتهم، وخلع الحكومات الموالية للأمريكيين، وتحرير الديار واستعادة استقلال القرار، فلن يحسب أحد لنا حساب مادمنا على حالنا من الضعف والوهن والاستخذاء، وحرية أوطاننا هي أعظم ضمان لحماية مقدساتنا، وقطع اليد التي تسيء لديننا ونبينا العربي العظيم.**

نرى أن الفيلم يشكل أداة في لجوء أميركا الى استراتيجية القوة الناعمة، التي تقوم على تسفيه معتقدات الآخرين وتجويف شخصيتهم العقائدية، ثم دفع الناس للاقتتال والتدمير الذاتي ليسهل على أميركا السيطرة عليهم من غير جيوش أو نار تطلقها في جبهات جربتها أميركا وخسرت.

أمين حطيط

فيلم الإساءة للنبي محمد:
عدوان أميركي....كيف يُردّ عليه؟

أمين حطيط

بذريعة ممارسة حق التعبير، قامت ثلة من منتحلي الفن، وبموافقة وحماية أميركية، بإنتاج فيلم سينمائي لمدة ساعتين، اختلقوا فيه سلوكيات نسبوها للرسول محمد (ص)، وطبعًا يسهل حتى على العاديين من الناس أن يكتشفوا زيفها وأن يكتشفوا بأن التذرع بحرية التعبير هو أكذوبة وذريعة واهية لا يمكن أن تقنعا عاقلاً. وهنا يكون ملحًا طرح التساؤل حول الأهداف الحقيقية للإنتاج الفني السيئ والحماية الممنوحة له والرد الملائم.

وننطلق من الذريعة ومن حرية التعبير ونرى أنه عندما أطلق الغرب ثورة الحريات في العصر الحديث وساهم في وضع شرعة لحقوق الإنسان وحقوق المواطن وأكد فيها جميعها على حق التعبير، فإنه حاذر أن تكون هذه الحرية أداة للإضرار بالآخرين، لذا وضع لها ضوابط في التشريع، والتزم الفقه والاجتهاد بعد ذلك قواعد صارمة لصيانة المكانة الاعتبارية للشخص ـ فردًا او جماعة ـ لمنع سوء ممارسة حرية التعبير، وقد وضعت قواعد المساءلة في حال كان خرق لهذه المبادئ على أساس المسؤوليتين المدنية والجزائية من أجل

التعويض عن الضرر المعنوي.

وقد رمت تشريعات الغرب بوجهيها المدني والجزائي هنا إلى معالجة مفاعيل سوء الاستعمال أو التعسف في استعمال حق التعبير، كما رمت إلى حماية الأفراد والجماعات في حقوقهم المعنوية وحفظ الأمن والسلام الاجتماعي ومنع عمليات الانتقام وردات الفعل غير المحسوبة، فكانت الدولة بما تملك من حق إرساء الأمن وحفظه هي التي تتولى انصاف المعتدى عليه في مشاعره، فتأمر عبر قضائها بالتعويض عليه، وتأمر بوقف الإساءة ومفاعيلها، عبر اتخاذ التدابير الردعية الزاجرة إن اقتضى الامر.

وعملاً بروحية هذا الالتزام أصدرت تشريعات عدة عامة وخاصة كان أحدها ما سمي قوانين «منع العداء للسامية» التي يقصد منها تحديدًا منع التعرض لليهود الذين يدعون بأنهم كانوا ضحية الكراهية الأوروبية، الكراهية التي أودت بحياة الكثير منهم، فجاءت تشريعات خاصة لتضع حدًا لذلك، وتمنع سلوكيات النبذ والمقاطعة والعزل وحتى القتل.

كما أن التشريعات في هذا المجال تطورت الى درجة حظر تناول معتقدات اليهود ليس الدينية فقط بل السياسية والاجتماعية، إلى درجة اعتبر فيها أن مجرد التشكيك بوقوع ما يسميه الصهاينة «الهولوكوست» أو المحرقة التي يقال إن هتلر نظمها لهم في ألمانيا، إن مجرد التشكيك فيها يعد جريمة يعاقب صاحبها بالحبس والتغريم بمبالغ باهظة. وتم التشدد في التطبيق حتى أن إحدى المحاكم

الفرنسية قضت ومنذ خمسة عقود بتعويض لجمعية يهودية حكم به على جهة نسبت لليهود أفعالاً وشنعت عليهم بعض سلوكياتهم في الأكل والتعطيل يوم السبت، فكان مقدارالتعويض يومها يمكن من شراء ٥ كلغ من الذهب.

أكد الغرب في كل مواقفه القانونية تشريعًا وفقهًا واجتهادًا (قوانين، مواقف علماء القانون، أحكام المحاكم) أن حرية التعبير ليست حرية مطلقة، فقيّدها بحق الآخربالأمان في مشاعره وأحاسيسه ومعتقداته فقيّدها بحق الآخربالأمان في مشاعره وأحاسيسه ومعتقداته، وقد أسهب الغرب في هذا المضمارحتى رأينا أحكامًا قضائية متقدمة وجريئة من قبيل التعويض على من نسب لجده المتوفى فعلاًمشينًا ما تسبب بتأذي مشاعرالأحفاد، وبررت المحكمة حكمها بحرمة الإساءة الى الأموات ووجوب حماية مشاعر الأحياء.

وبعد هذا نطل على الفيلم السيئ الذكروالمضمون والشنيع الأهداف، ونرى أن إنتاجه لا يمكن أن يبرربذريعة حرية التعبير، حتى وفقًا لما يلتزم به الغرب من مضمون لهذا الحق وانطلاقًا من الضوابط والحدود التي وضعها لممارسته. وهنا نذكر كيف أن الغرب نفسه الذي يتشدق بحرية التعبير كيف أنه منع ويستمربمنع فضائيات عربية و إسلامية من البث عبرأقماره الصناعية، حتى انه بات يلاحق من يستمع اليها عبرمواقع الانترنت وذريعته انها: «تبث الكراهية» كما فعلت أوروبا الغربية وأميركا مع قناة المنار وسواها...